المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

السلسلة التاريخية

التوسع الفينيقي

في غربي البحر المتوسط

محمد الصغير غانم



التوسع الفنيقي في غربي البحر المتوسط

رسالة دبلوم الدراسات العليا
في التاريخ القديم

قدمها محمد الصغير غانم
باشراف الدكتور هشام الصفدي

ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ـ لبنان

الطبعة الاولى ١٩٧٩م
الطبعة الثانية ١٩٨٢م

مدونة سيدي بن عزوز البرجي

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
الحمراء ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام
هاتف: ٨٠٢٤٠٧ ـ ٨٠٢٤٢٨ ص . ب ١١٣/٦٣١١ بيروت ـ لبنان

الاهداء

إلى أخي الشهيد المساعد حسين غانم ، وإلى أرواح كل شهداء التضحية والكفاح من أبطال جيش وجبهة التحرير الوطني ، الذين دفعوا أرواحهم فداء في سبيل حرية واستقلال وطننا « الجزائر » : إلى كل هؤلاء أتقدم باهداء باكورة انتاجي الفكري ، اعترافاً مني لهم بالأيادي البيضاء، وانحناءً أمام أرواحهم الطاهرة التي ترف علينا كل لحظة لتحثنا على مواصلة الكفاح والسّهر على نفس المبادىء الثورية التي استشهدوا من أجلها .

المؤلف : محمد الصغير غانم

الجزائر في 3 — 1 — 1974

مقدمة

من بين المواضيع الهامة التي لم تحظ بعد بالاهتمام المناسب في أوساط الباحثين والمؤرخين في جامعاتنا العربية ، موضوع التاريخ القديم الذي ما زال المختصون فيه في وطننا العربي يعدون على الأصابع ، ولا أدري أكان ذلك عن قصد لأن الماضي دخل في حيز العدم « أم أن » هناك مواضيع اقتصادية وتقنية تتعلق بالحاضر والمستقبل تغطى على مثل هذه الدراسات .

وقد ترتب عن نقص الاهتمام أن انفرد المؤرخون الأجانب بالعمل تقريباً فأصبحوا يكتبون لنا تاريخنا ويضمنوه ما شاءوا من النظريات والأفكار التي قد لا تطابق الواقع في كثير من الأحيان . غير أننا نقبل ذلك ، ونعتمد كتاباتهم في جامعاتنا ومدارسنا معللين ذلك بنزاهة وتكامل البحث العلمي .

كانت هذه الفكرة وغيرها من الأفكار الأخرى تحز في نفسي أثناء دراستي الجامعية عندما كانت تسلم لنا قوائم المصادر والمراجع الهامة التي تتعلق بتاريخنا القديم ، وقد كتب معظمها من طرف المؤرخين الأجانب . إلا أن ذلك كان حافزاً لي على أن أختار هذا الميدان الصعب وأن أتمسك بالصبر والمثابرة علني أستطيع تقديم مساهمة إيجابية فيه وبذلك أكون قد قمت بواجبي الوطني تجاه أبناء أمتي . وبعد أن تخرجت من كلية الآداب

بجامعة الجزائر سنة 1969 عرضت موضوع عنوان الرسالة على الأستاذ « هشام الصفدي » فرحب بالفكرة وتفضل مشكوراً بقبول الاشراف فضبطت معه المخطط وعملت باستمرار على تحقيق الهدف المنشود . ولا اخفي الصعوبات والمشاكل التي صادفتني أثناء بحثي خاصة قلة توفر المصادر والمراجع المتخصصة التي أعاقتني عن انجاز عملي في وقته المحدد.

وقد حددت بداية البحث بفترة نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول ق .م . وذلك لإيماني العميق بأن هذه الفترة تعد مرحلة إنتقال حاسمة بالنسبة لتاريخنا القديم فقد عرف الانسان المغربي فيها الانتقال من عصور ماقبل التاريخ (فترة النيولتيكي) إلى العصور التاريخية الباكرة.

وذلك بأخذ الكتابة الأبجدية التي جاء بها التجار الفنيقيون من مواطنهم على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، والذين يصادف وصولهم نفس الفترة . كما عرفت منطقة المغرب في هذه الحقبة من التاريخ نظام المدينة الدولة (Polis) بالاضافة إلى التنظيم السياسي كان يطبق في المدن الفنيقية الباكرة مثل ليكسوس وأوتيكا ثم قرطاجة فيما بعد .

ومن جهة أخرى فان أهمية هذه الفترة تعود في رأيي إلى الاحتكاكات والمبادلات السلمية الأولى التي تمت بين الفنيقيين الساميين والسكان الأصليين على أساس المصالح المتبادلة ، مما أعطى للحضارة المغربية دفعة جديدة قوية بقيت آثارها ماثلة حتى القرن السابع الميلادي ، أي حتى مجيء العرب الساميين الذين حملوا معهم مشعل الاسلام والعروبة إلى ربوع المغرب.

وقد قسمت فصول الرسالة إلى خمسة فصول وهي كالتالي :

(1) — خصصت الفصل الأول المدخلي إلى التعريف بأصل الفنيقيين والمنطلق الأول الذي جاؤوا منه ، ثم استعرضت النظريات التي تثبت أصلهم السامي وبالتالي شرحت معنى كلمة فينيقي (Phoinx) اليونانية الأصل . كذلك تعرضت في نفس الفصل إلى طبيعة منطقة الساحل الفنيقي

الجغرافية ، ثم بينت بالتفصيل العوامل المساعدة التي دفعت الفينيقيين إلى ركوب البحر . وختمت هذا الفصل بنتائج الاتصالات الحضارية التي تمت بين سكان مدن الساحل الفنيقي . والدول المتحضرة المجاورة لهم في كل من مصر وبلاد الرافدين ، والذي نتج عنه اختراع الأبجدية الفنيقية التي انتشرت فيما بعد عبر أجزاء كثيرة من العالم .

(2) ـــ أما الفصل الثاني فقد استعرضت فيه العوامل المباشرة التي دفعت الفنيقيين إلى الهجرة نحو الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. وقد تطرقت لهذه العوامل بالتفصيل ، سواء ما كان عالقاً منها بالطبيعة السياسية والاقتصادية للساحل السوري . أو ما كان موجوداً في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

(3) ـــ كذلك أوضحت في الفصل الثالث عملية التوسع الفنيقي ، وبناء المحطات والمستوطنات الباكرة ، وعللت أسباب سبق المستوطنات البعيدة الواقعة على سواحل المحيط الأطلسي (قادس في اسبانيا، وليكسوس في أقصى الغرب) لتلك التي أسست على سواحل وسط المغرب . ثم صقلية فيما بعد . وفي نهاية هذا الفصل أبرزت هدف الفنيقيين من وراء اقامة الموانىء المزدوجة التي اشتهرت بها بعض مدنهم الساحلية في الحوضين الشرقي والغربي للبحر الأبيض المتوسط على السواء .

(4) ـــ أما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن المستوطنات الفنيقية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وعلاقتها ببعضها من جهة ثم علاقتها بالوطن الأم . وفي هذا الفصل أظهرت من الناحية السياسية تسلم قرطاجة لزعامة المستوطنات الفنيقية غرب البحر الأبيض المتوسط. كذلك أشرت إلى التحالف الفنيقي الاتروسكي ضد التوسع الأغريقي في صقلية والبحر التيراني . ولم أغفل من الناحية الاقتصادية دور محطات خليج السرت القرطاجية مثل صبراتة (Sabratha) وطرابلس (Oea) في

ربط العلاقات التجارية بين وسط أفريقيا الاستوائية عبر الصحراء الكبرى وبين الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كما أشرت إلى جهود القرطاجيين ، والمغاربة في مواصلة الكشوفات البحرية خلال نهاية القرن الخامس ق . م . إلى كل من سواحل أفريقيا الاستوائية الغربية ، وإلى كاسيتّريدس (Cassiteredes) وكورنوال (Cornwall) في جنوب بريطانيا .

(5) ــ أما الفصل الخامس والأخير فقد رأيت من اللازم علي أن أخصصه لدراسة مستوطنة قرطاجة، وذلك نظراً للدور الهام الذي لعبته هذه المستوطنة في العمل على تركيز وتوسيع الاستيطان الفنيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط .. واعتمدت في تناولي لشرح موضوع طبوغرافية مدينة قرطاجة علىالمقارنة بين الوثائق الكتابيةوالمصادر المادية التي أسفرت عنها نتائج أحدث التنقيبات الأثرية تقريباً . وفي نهاية هذا الفصل أشرت إلى الدور الاقتصادي الذي لعبته المدينة منذ نشأتها ، ثم ركزت بصفة خاصة على الصناعة والزراعة .

وقدكان المنهج الذي اعتمدته في البحث منذ البداية ، هو المقارنة بين المصادر المادية والكتابية ، ثم الاستنارة باستنتاجات المؤرخين المحدثين لشرح الجوانب الحضارية والاقتصادية في العلاقات بين شرقي البحر الأبيض المتوسط وغربه .

والآن وقد أشرفت على إنجاز عملي العلمي هذا أريد أن أشيد بجهود أولئك الـــذين لم يبخلوا علي بتقديم مساعداتهـــم الفكرية والمعنوية . فأتقدم بالشكر الجزيل إلى الاستاذ المشرف « الدكتور هشام صفدي » الذي ساير فصول الرسالة منذ بدايتها حتى الخاتمة . وكان له الفضل الكبير في توجيهي للعمل على إبراز البحث إلى الوجود بالشكل الذي هو عليه . كما أتوجه بالشكر والامتنان أيضاً إلى رئيس وأساتذة فرع التاريخ الذين كنت بفضل احتكاكي بهم في العمل ألقى تشجيعاً معنوياً يدفعني

للمضي قدماً في سبيل تأدية رسالتي العلمية . ولا أنسى أيضاً أن أشكر كل مسؤولي وعمال المكتبتين الوطنية والجامعية ، ثم المتاحف والمراكز الثقافية بالجزائر العاصمة ، الذين وجدت منهم كل عون وتقدير في تسهيل مهمتي للاطلاع على المصادر والمراجع الضرورية .

وأنا لا أدعي بأن العمل الذي قمت به بلغ الكمال وإنما هو مساهمة أولى متواضعة قد تساعد من يستهويه هذا الميدان الذي لا زال ينتظر تكاتف جهود أبناء المغرب أنفسهم ليزيحوا عنه الغبار الذي علق به منذ أمدطويل . وفي رأيي فان ذلك لن يتم إلا تحت شعار الثورة الثقافية الشاملةالتي تتطلب منا بلورة الأفكار واعادة النظر في كل شيء ورثناه عن العهدالاستعماري البائد ، ثم صياغة النتائج بلساننا العربي حتى تعم المنفعةالفكرية وتتضح من وراء ذلك الحقائق التاريخية . والله الموفق .

الفَصْلُ الأوّل

مقدمــة جغرافية

أ – التكوين الأرضي لساحل المتوسط الشرقي :

1 – المناخ 2 – الثروة النباتية

ب – الفنيقيون في المشرق :

– ممالك المدن الفنيقية 1– جزيرة أرواد 2– جبيل 3– صيدا 4– صور

ج– الكتابة الفنيقية :

– اللغة الفنيقية 1 – أسماء الاعلام 2 – النقوش الاهدائية والجنائزية
3 – الأدب الفنيقي .

مقدمـــة جغرافية

نظراً للاهمية البالغة التي لعبتها البيئة في حياة سكان الساحل الفنيقي ، رأينا من الضروري في بداية هذه الدراسة أن نقدم فكرة عن التكوين الجغرافي وعن الظروف الاجتماعية التي دفعت الفنيقيين إلى ركوب البحر ، والتي جعلت منهم بالتالي بحارة ماهرين جابوا معظم شواطىء العالم القديم.

يمتد الساحل الفنيقي على وجه التحديد بين خليج الاسكندرونة في الشمال وصحراء سيناء في الجنوب . ويحده من الناحية الشرقية سلسلة جبال لبنان الغربية التي تشكل حاجزاً طولانياً يمتد من الشمال إلى الجنوب محاذياً الساحل . وإلى الغرب من الساحل الفنيقي يوجد البحر الأبيض المتوسط الذي استرعى أنظار الفنيقيين فكان حلقة اتصال بينهم وبين الشعوب المستقرة على شواطئه . ويلاحظ في الشاطىء الفنيقي الذي يبلغ طوله حوالي440 كلم انعدام الخلجان الطبيعية باستثناء خليج الاسكندرونة في الشمال . أما السهل الساحلي فيتصف بأنه ضيق عموماً حتى أن الجبال تكاد تلامس مياه البحر مباشرة في عدة أماكن ، ولا ينفرج هذا الساحل إلا في الشمال والجنوب ثم في بعض الجيوب الصغيرة المتناثرة في الوسط مثل سهل عكار شمال طرابلس ، وسهلي صيدا وصور الذن عرفا في القديم باسم سهل فينيقيا (1) وقد أدى موقع فينيقيا الهام على شواطىء البحر المتوسط الشرقية ، وما امتلكته من ثروات طبيعية كالغابات مثلا ، أدى إلى تحول هذه المنطقة إلى مركز حساس في العالم القديم جذب أنظار شعوبه . ونتيجة لذلك استولى عليها على التوالي كل من المصريين ،

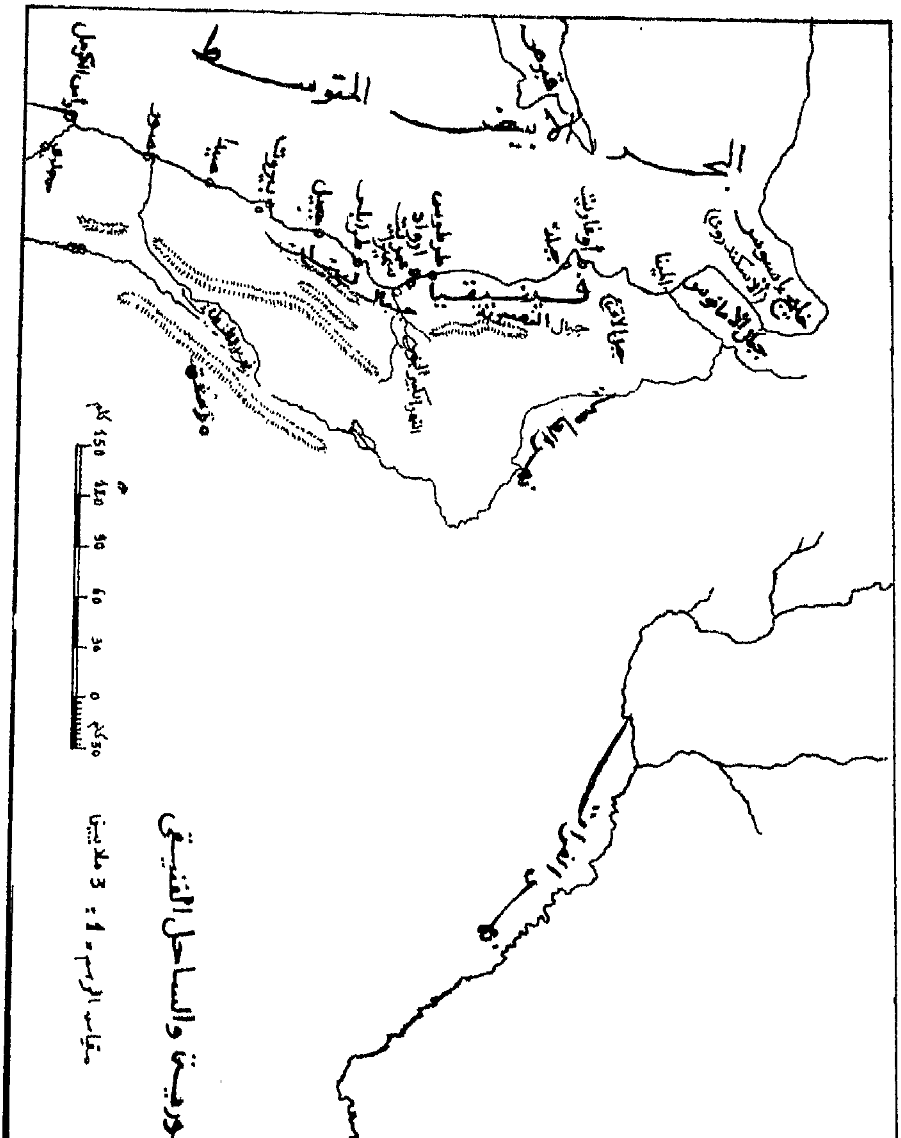
والآشوريين ، والكلدانيين ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، ثم عادت من جديد إلى أصحابها في العهد العربي . (أنظر الشكل رقم 1).

أ — التكوين الأرضي لساحل المتوسط الشرقي

تتكون التربة الساحلية من رواسب جيرية ، وقد كانت إلى نهاية العصر الثالث الجيولوجي هضبة تغطيها المياه التي انحسرت عنها اثر التصدع الذي أصاب القشرة الأرضية . وقد نتج عن هذا التصدع البحر الأبيض المتوسط . ويذكر الجيولوجيون بأن صخور منطقة الساحل السوري تحتوي على ما يقارب الخمسين نوعاً من الحيوانات البحرية المتحجرة التي يعود بعضها إلى العصر الكريتاسي (2) وللوضع الجغرافي دور كبير في تحديد حياة سكانها وتوزيعهم حسب السهول الزراعية التي امتدت في الشمال قرب مصب النهر الكبير ، والجنوب قرب عكار .

أما فيما بين الشمال والجنوب فان الكتلة الجبلية تكاد تعانق البحر ولا تترك مجالاً للساحل ، الأمر الذي يجعل المواصلات البرية صعبة إن لم يعقها في كثير من الأحيان ، سواء أكان ذلك بين المدن الساحلية نفسها أو بين الساحل والداخل .

وفي هذا الصدد نشير إلى أن الطريق الدولي القادم من دلتا النيل في مصر عبر سيناء وفلسطين يتفرع إلى فرعين عند جبل الكرمل الذي يكاد ينحدر مباشرة في مياه البحر ، فيواصل فرع صغير من هذه الطريق متابعة الساحل لربط المدن الساحلية الفنيقية ببعضها . بينما يتجه الفرع الثاني نحو الداخل عبر سهول مجدو وأعالي نهر الأردن . وفي مدينة دمشق ينعطف الطريق الداخلي إلى الغرب عابراً جبال لبنان الشرقية عند ممر الزبداني ، ثم يواصل سيره داخل سوريا المجوفة متتبعاً نهر العاصي حتى الشمال . وعند مدينة قادش ينفذ فرع منه عن طريق النهر الكبير الى الساحل الفنيقي .


سورية والساحل الفينيقي
مقياس الرسم 1 : 3 ملايين
البحر الأبيض المتوسط
فينيقيا
جبال النصيرية
جبال الأمانوس

(الشكل رقم 1)

وقد سلك هذا الطريق معظم الغزاة الذين استولوا على بلاد الشام بجيوشهم فترك الكثير منهم آثاره منقوشة على صخرة عند مصب نهر الكلب شمال بيروت (3) وكان الساحل الفنيقي عموماً عبارة عن جسر أرضي يربط بين عدة حضارات متباينة في وادي النيل وبلاد ما بين النهرين في العراق ، ثم في شبه الجزيرة العربية ، وفي آسيا الصغرى وبحر إيجه وبلاد الاغريق الام (4) .

وإذا تساءلنا عن الخصائص الطبيعية التي يشتمل عليها الساحل الفنيقي فإننا نلجأ تسهيلاً للبحث إلى تقسيمه إلى وحدتين طبيعيتين هما :

1) السهل الساحلي الذي كنا قد أشرنا إليه سابقاً ووصفناه بأنه ضيق في معظمه ما عدا ناحيتيه الجنوبية والشمالية بالاضافة إلى بعض السهول الصغيرة في الوسط .

2) السلاسل الجبلية التي تشكل حاجزاً طولانياً منيعاً يقف بين الساحل والداخل باستثناء بعض النواحي منه في الشمال مثل ممر سهل العمق وفجوة طرابلس .

ويتألف الحاجز الطبيعي من عدةسلاسل جبلية نشير اليها على التوالي:
سلسلة جبال الأمانوس في الشمال والتي تكون الحدود الطبيعية بين سوريا وآسيا الصغرى يأتي بعد ذلك الجبل الأقرع (5) الذي يفصله عن السلسلة الأولى سهل العمق الذي يشكل حول مجرى نهر العاصي الأدنى، في حين تمتد جبال النصيرية حتى النهر الكبير الجنوبي الذي يشكل الحدود السياسية الحالية بين سوريا ولبنان .

وإلى الجنوب من جبال النصيرية ترتفع جبال لبنان الغربية التي يتشكل سطحها من صخور كلسية رملية . ويوجد في أعلاها قمة القرنة السوداء التي يصل ارتفاعها إلى حوالي 3088 كما توجد بها غابات الأرز الكثيفة

التي اشتهر بها الساحل الفنيقي منذ أقدم العهود . وما سلسلة جبال الجليل بقسميها الأعلى والأدنى في الأراضي الفلسطينية إلا امتدادٌ طبيعيٌ لجبال لبنان الغربية رغم المسافة الفاصله بينهما .

1 ــ المناخ

ترتب عن وجود الساحل الفنيقي في المنطقة المعتدلة الدافئة بين درجتي عرض 33° ــ 38° شمال خط الاستواء ، أن كان مناخه بصورة عامة معتدلاً .

ومن جهة أخرى فان موقع هذا الساحل أيضاً على الشاطىء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط جعل مناخه يخضع للمناخ المتوسطي الذي تكاد تنعدم فيه الفوارق الفصلية ، وتنقسم السنة فيه إلى فصلين رئيسيين : شتاء ممطر مضطرب بارد وصيف جاف حار . غير أن المسطحات المائية تبعث الرطوبة في الجو ، وتعدل درجة الحرارة على الشاطىء . وتزداد درجة الحرارة في منطقة فنيقيا ابتداء من الغرب إلى الشرق وبالعكس من ذلك فان كميات المطر تتناقص من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب .

أما الرياح السائدة في المنطقة فهي الرياح الغربية الممطرة شتاء ، ثم الجافة الشرقية في فصل الصيف (6) .

ولا توجد في فنيقيا أنهار دائمة الجريان ، بل أن معظم أنهارها فصلية

تفيض وتزيد في الفصل الممطر ، ثم تجف أو تقارب الجفاف في فصل الصيف باستثناء نهري العاصي والليطاني اللذين ينبعان من الداخل ، ويصبان في البحر الأبيض المتوسط . لذلك لم تلعب الأنهار دوراً كبيراً في الملاحة الداخلية عكس ما هو عليه الحال في مصر والرافدين .

وبصفة عامة فان مناخ الساحل السوري لم يلحقه التغيير بل بقي على ما كان عليه منذ القديم (7).

2 — الثروة النباتية

نستطيع أن نقسم الثروة النباتية في منطقة فنيقيا إلى نطاقين هامين هما :

1) السهول الساحلية وسفوح الجبال الموالية لها حتى ارتفاع 1100 م والنباتات السائدة في هذا القسم هي الأشجار المعتادة في سواحل البحر الأبيض المتوسط ، كالكروم وأشجار التين والزيتون ثم النباتات ذات البذور ، مثل القمح والشعير والدخن ، ومختلف الأزهار الربيعية (8). وهناك نوعان من السنديان الذي ينمو في منطقة السفوح الجبلية ، أولهما النوع المعروف بالعفص ذي الأوراق النفطية ،وثانيهما السنديان الأخضر.

إلى جانب ذلك هناك اللوز والسفرجل ، ثم الصنوبر بنوعيه الحلبي والبري والتوت والزان .

2) نطاق المرتفعات الجبلية الشاهقة التي تغطي الأشجار منها المسافة التي يتراوح ارتفاعها ما بين 1100 م — 1922 . وغالباً ما تتكون أشجار المرتفعات الجبلية من أشجار الأرز ، والشوح ، ثم النباتات ذات الأثمار المخروطية التي تقاوم البرودة الناتجة عن تراكم الثلوج في قمم الجبال مدة فصلي الشتاء الربيع (9) وقد تميزت أشجارالأرز التي تنبت في السلاسل الجبلية الفنيقية بالكثرة والقدم ، كما أشير اليهافي الكتب الدينية والكتابات القديمة (10) .

وكانت أخشاب الارز من المواد التجارية الهامة التي تبادلتها فنيقيا مع شعوب العالم القديم ، ولم تعد هذه الأشجار في الوقت الحالي تلعب نفس الدور الذي كان لها في الماضي ، وذلك لانقراض معظمها بسبب

التعرية من جهة ، ويد الانسانالتي امتدت اليها على مر العصور من جهةأخرى .

ب ـ الفنيقيون في المشرق

تتفق الوثائق الكتابية التي تناولت موضوع أصل الفنيقيين وتسميتهم بأن هؤلاء الأقوام ليسوا منجنس السكان المحليين ، وإنما ظهروا في شمال منطقة الهلال الخصيبمنذ بداية الألف الثالث ق . م ، ثم نزحوا بعد ذلك إلى الساحلالسوري واختلطوا بسكانه الذين ينتمون إلى أرومة جنس البحر الأبيضالمتوسط (11) .

ومن جهة أخرىفان معظم الكتابات التاريخية أيضاً مجمعة على الأصل السامي للفنيقيين. إلا أن الاشكال لا يزال قائماً حول موضوع تحديد هجرة أجداد الفنيقيين من موقعهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية ، والطريق الذي سلكوه للوصولإلى شمال بلاد الشام (12) . وسوف نتجنب مناقشة هذا الموضوعحتى لا ندخل في متاهات خارجة عن نطاق بحثنا . غير أننا مقابل ذلكيمكن أن نشير باختصار إلى بعض الآراء التي نراها ضرورية لازاحةالغموض عن هذا الموضوع .

يرى المؤرخهيرودوت (Herodote) بأن « الفنيقيين ليسوا من أهل البلاد الأصليين،وإنما نزحوا من البحر الاريتري » (13) .

أمااسترابون (Strabon) فيشير « بأنسكان الخليج الفارسي أكدوا له بأنهم يسمون عندهمباسم صيدا ، صور، وأرواد، وأراد (Arad) وأن المعابد عندهمتشبه معابد الفنيقيين » (14).وورد في كتاب التوراة الاصحاح العاشرعند ذكر قائمة نسب الشعوب أسماء سام ، وحام ، ويافث أبناء نوح... كما أشير إلى صيدون كمركز لبلاد كنعان (15).

أما المؤرخجوستان (Justin) فيصف الشعب الفنيقي « بأنه مكون

من الفنيقيين الذين نزحوا من بلادهم الأصلية حين أفزعتهم الزلازل . وقد نزلوا أولاً على ضفاف البحيرة الآشورية ، ثم على شواطىء البحر الأبيض المتوسط . وهنا بنوا مدينة سموها صيدا بسبب وفرة الصيدمن السمك ، والفنيقيون يسمون السمك صيدا (16).

وهناك من المؤرخين المحدثين من يخالف الآراء التي تقدم ذكرها محاولاً اعتبار منطقة الشمال الشرقي من سوريا المهد الأول للساميين الشماليين ثم يدلل على رأيه هذا بالهجرات الأكادية والآشورية ثم البابلية التي خرجت من بلاد الأموريين متجهة نحو بلاد ما بين النهرين . غير أن هذا الرأي ما زال يفتقد إلى التأييد (17) .

وبصدد تسمية سكان شبه الجزيرة بالساميين ، فاننا نلاحظ بأن هذه التسمية لغوية أكثر منها عرقية ، وهي نسبة إلى سام بن نوح ولم يعتن بالتسمية السامية أو تصبح تصنيفاً جنسياً للاقوام السامية الذين تفرعت لغاتهم عن اللغة السامية إلا في أواخر القرن الثامن عشر عندما شرع العلماء الأوربيون في تصنيف اللغات الشرقية .

أما في القرن التاسع عشر فقد اعتنى بهذا الموضوع المؤرخ النمساوي شلوتزر (Scholozer) الذي أنكب على دراسة اللغات الشرقية وتصنيفها (18) وتعتمد اللغة السامية على الفعل الثلاثي. كما أن هناك زمانين لتصريف الفعل هما الماضي والمضارع. وهناك تشابه كبير بين اللغات السامية في الكلمات الأساسية مثل الضمائر والأسماء التي تدل على القرابة (19). وقد ضمت التسمية السامية في العصور القديمة كلاً من الأكاديين الذين خرجوا في هجرة كبيرة من شبه الجزيرة العربية في حوالي 3500 ق.م واستقروا في شمال الفرات كمرحلة أولى ، ثم بدأوا يحتكون بالسكان المحليين من السومريين فأخذوا عنهم مؤهلاتهم الحضارية مثل الزراعة والكتابة وحياة الاستقرار . وفي عهد الملك سرجون الأكادي تقدم الأكاديون إلى وسط سهل ما بين النهرين فأسسوا مدينة أكاد ، وأخذوا

الزراعة من السومريين وتعرف الهجرة الثانية التي خرجت من شبه الجزيرة نحو الشمال بالهجرة الآشورية التي استقر أصحابها في شمال بلاد ما بين النهرين في حوالي الألف الثالث ق . م (20). وقد امتدت الدولة الآشورية في أول الأمر حتى كبادوكيا في وسط الأناضول .

وفي النصف الأول من الألف الثالث ق.م وصلت هجرة الأموريين إلى شمال بلاد الشام وتعني كلمة أمورو (Amurru) سكان الغرب بالنسبة لجيرانهم سكان بلاد ما بين النهرين أي البلاد الواقعة إلى الغرب من الفرات. وهي غير سامية، وقد أطلقها السومريون لأول مرة على مدينة ماري عاصمة الأموريين ثم توسع مدلولها في عهد البابليين فأصبحت تشمل شمال سوريا ووسطها. وسمي البحر الأبيض المتوسط ببحر أمورو (21). وضمن الهجرة الأمورية جاءت الأقوام الكنعانية التي توضعت في سوريا الوسطى، و الساحلية وفلسطين . وكلمة كنعان تعني في اللغة السامية «انخفض» وهي مشتقة من فعل كنع (Kana) ويقصد بالأرض المنخفضة هنا انخفاض الساحل الفنيقي بالنسبة لجبال لبنان التي هي امتداد طبيعي لجبال طوروس في آسيا الصغرى . وبذلك فالتسمية هنا هي عبارة عن مصطلح جغرافي . .

أما التسمية المهنية فقد أطلقها أولا الحوريون على سكان الساحل السوري من الكنعانيين (Knaggi) فيما بين القرنين 18 — 17 ق . م وهي تعني في لغتهم الصباغة الأرجوانية . وقد اتفقت التسمية الحورية مع التسمية اليونانية (Phoinix) التي تعني هي الأخرى صباغة الأرجوان التي اشتهر بها التجار الفنيقيون في حوالي القرن الثاني عشر ق . م وكانت صباغة الأرجوان تستخرج من محار الميوركس (Murix) الذي يوجد بوفرة على الساحل السوري. ومنذ اطلاق التسمية اليونانية أصبح سكان الساحل السوري يعرفون بالفنيقيين (Les Pheniciens) وسميت المنطقة فنيقيا (Phenicia) (22)— وبذلك تكون كلمة فنيقي مرادفة لكلمة كنعاني وقد كان الفنيقيون يسمون أنفسهم بالكنعانيين ويدعون بلادهم بأرض

كنعان . وورد في كتاب التوراة « وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوبيم إلى لاسع » (23).

وقد أشارت رسائل تل العمارنة إلى سكان الساحل الفنيقي باسم كناهي (Kinakhkhi) أو كناهو (Kinahn) . وجاء في كتاب الحضارة الفنيقية « كانت نقود لاذيقة لبنان في عصر أنطيوخوس الرابع (176- 164 ق . م) تحمل على ظهرها اللاذقية التي في كنعان » (24).

ممالك المدن الفنيقية

ترتب عن الموقع الاستراتيجي الذي احتلته سورية كمنفذ رئيسي طبيعي يربط بين المسارح التي قامت عليها الحضارات القديمة ، بالاضافة إلى غنى المنطقة بثروتها من الغابات ، أن الامبراطوريات التي قامت بجوارها كانت تعيش في حالة مد وجزر وصراع دائم للفوز بهذه المنطقة. وهذا ما أثر على دويلات مدن الساحل الفنيقي وجعلها عاجزة عن تحقيق الوحدة زيادة على ذلك فان وجود الحواجز الطبيعية ، التي تجعل المواصلات صعبة عبر الساحل الفنيقي ، فرض على السكان تشكيل حياتهم السياسية طبقاً لطبيعة البلاد الجغرافية . فاتبع الفنيقيون سياسة المدينة الدولة (Polis) (City-State) المتحالفة أو المتنافرة في السلم والمتحدة في الحرب (25). (الشكل رقم واحد ، ص 14).

ومن أهم المدن الساحلية التي كان لها دور فعال نذكر -ابتداء من الشمال إلى الجنوب مدن أرواد ، وجبيل ثم صيدا وصور . بالإضافة إلى مدن أخرى كانت أقل أهمية من تلك التي ذكرناها مثل عمريت ، أوسميرا وعرقة ، وطرابلس ثم بيروت ، إلى غير ذلك من المدن التي ضاعت معالمها ، أو اندثرت أسماؤها . ويشير بعض المؤرخين إلى أن عدد هذه المدن يبلغ حوالي 25 مدينة موزعة على كامل الساحل (26).

ونظراً لأهمية المدن الخمسة الأولى فاننا نخصص دراسة لكل واحدة منها على حدة ابتداء من الشمال .

1 — جزيرة أرواد

تعتبر مدينة أرواد (Aradus) في طليعة المواقع التاريخية الفنيقية الهامة التي تقابلنا إلى الجنوب من مدينة أوغاريت (رأس شمرا) ، هذه المدينة القائمة على جزيرة صغيرة مجاورة للشاطىء لعبت دوراً فعالاً قد يكون في المستوى الذي قامت به كل مـــن جبيل وصيدا وصور في الحقل الدولي وقد تألفت مدينة أرواد من حيين منفصلين : بني أحدهما على ساحل البحر ، وعلى بعد ثلاث كيلومترات إلى الجنوب من مدينة طرطوس . بينما قام الحي الثاني على جزيرة صخرية تبعد بميلين عن شاطىء البحر (27). وكان لكلا الحيين أهميته واستعمالاته الخاصة : فقد كان الحي الساحلي يستعمل كسوق تجارية يتبادل فيها الارواديون بضائعهم مع سكان الأرياف المجاورة بينما كان الحي البحري أكثر شهرة بفضل أسواره ومرفأيه ويستعمل في أوقات الحرب ، كملجأ لسكان الحيين . وهو بمثابة حصن منيع تحميه أسوار ضخمة من الحجارة المنحوتة. ويعزو سترابون تأسيس مدينة أرواد إلى مواطنين صيداويين انتقلوا إلى الشمال فبنوا المدينة (28) وتشير التوراة إلى أن سكان مدينة أرواد من الكنعانيين.

أما رسائل العمارنة فقد أشارت إلى التحالف الذي وقع بين أرواد وصيدا ثم بيروت ضد رب عدي حاكم جبيل ، الذي كان موالياً لمصر. وقد انضمت مدينة أرواد إلى الحثيين أثناء معركة قادش حوالي سنة 1288 ق . م (29). وفي عهد حكم تجلات بلاصر دفعت أرواد الجزية إلى الآشوريين وكذلك في عهد أشور ناصربال 884 — 859 ق . م الذي كانت تقدم له الثياب والعاج والأخشاب واستمرت في دفع الجزية للآشوريين حتى العهد الفارسي حيث توسعت رقعتها وأصبحت عاصمة للمنطقة الممتدة من اللاذقية شمالاً حتى النهر الكبير جنوباً .

ومن جهة أخرى شاركت السفن الاروادية ضمن الاسطول الفارسي خلال الحرب الفارسية الاغريقية التي كانت أبرز معاركها سلاميس (Salamis) سنة 480 ق . م والتي انتهت بهزيمة الاسطول الفارسي .

يلي أرواد إلى الجنوب مركز فنيقي آخر هو عمريت أي ماراتوس (Maratus) (30). وكذلك مدينة سميرا ، وطرابلس (Tripolis) (31) وتشير الكتابات التاريخية إلى أن هذه الأخيرة كانت قد أسست حوالي القرن السابع ق . م وقد كانت عاصمة الاتحاد الذي كان يمثل صور وصيدا وأرواد في العهد الفارسي . وإلى الجنوب من مدينة طرابلس نجد مدينة البترون (Byblos) (32).

2 ــ مدينة جبيل

تحتل مدينة جبيل (Botrys) (33) مكانة هامة على الساحل الفنيقي إذ تقوم عند مصب نهر أدونيس (نهر إبراهيم الحالي) وتقدر المسافة الفاصلة بينها وبين بيروت ــ أقرب مركز فنيقي إلى الجنوب منها ــ بحوالي 45 كلم . وتعد جبيل من أقدم المدن التي سكنت في العالم حيث بدأت علاقتها التجارية مع بلاد اليونان وجزر البحر الايجي منذ العهــد المينوسي . كذلك اشتهرت بمينائها الهام الذي كانت تصدر منه أخشاب الأرز إلى كثير من الدول ، وخاصة مصر التي أقامت علاقات معها منذ عهد الملكية القديمة . وهذا ما أشارت إليه أسطورة أزوريس ، وما أثبتته الأبحاث الأثرية المنتظمة التي بدأت حوالي 1921 في مدينة جبيل على يد العالم الفرنسي مونتيه (P. Montet) ثم زميله العالم دونان (M. Dunanus) حوالي سنة 1926 (34) . وقد أسفرت التنقيبات التي استمرت حتى أمد قريب عن العثور على معبد فيه قرابين تتألف من حلي وهدايا مصرية متنوعة وغنية كتب على بعضها أسماء أصحابها من فراعنة مصر الباكرين . كما عثر أيضاً على بعضها أسماء أصحابها من فراعنة مصر الباكرين كما عثر

أيضاً على جعارين وحلي يعود تاريخها إلى حوالي القزن الثامن عشر ق .م (المملكية الوسطى) .

أظهرت الحفريات بأن مدينة جبيل كانت قد تعرضت لحريق مهول في نهاية الألف الثالث ق . م (35). ولعل من أهم وأكبر الاكتشافات الأثرية التي توصلت اليها التنقيبات في جبيل العثور على الأبجدية الفنيقية. فقد وجدت مكتوبة على صخرة بها أسماء بعض ملوك جبيل الذين سبقوا الملك أحيرام مثل شفط بعل، وايلى بعل الخ .. ويعود تاريخ هذه الكتابة إلى القرن العاشر ق . م . وكان من نتيجة ذلك أن غيرت هذه الكتابة ما سبقها من نظريات كانت تعيد اختراع الكتابة الابجدية الفنيقية الأولى إلى منتصف القرن الحادي عشر ق . م.

وبالاستناد إلى نتائج الحفريات التي توصل اليها العالمان المذكوران أمكن التأكد من أن علاقة مصر بجبيل عرفت فترة ازدهار منذ الألف الثاني ق . م وخاصة في عهدا لاسرة المصرية الثانية عشرة . وكان أمراء جبيل في هذه الفترة تابعين لمصر ويلقبون بالامراء النبلاء . وتتضح علاقة مصر بجبيل بشكل أ كثرعن طريق قصة النبيل سنوحي الذي غادر مصر في عهد الملك سنوسرت الأول إلى سوريا هرباً من بطشه وأقام بالقرب من جبيل عدة سنوات ثم عاد إلى بلاده فيما بعد (36). وورد في رسائل تل العمارنة بأن جبيل كانت قد انحازت إلى مصر أثناء صراع هذه الأخيرة مع الحثيين ، بينما كانت معظم المدن الفنيقية الأخرى تناصر الحثيين

ولم تضعف علاقة جبيل بمصر إلا في أعقاب غزوات شعوب البحر المدمرةالتي اجتاحت الساحل السوري ودمرت الكثير من المدن الفنيقية ويتمثل دليل الضعفهذا في المعاملة شبه السيئة التي استقبلت بها بعثة الموفد المصري–آمون (Wen - Amun) التي أرسلت من قبل الملك المصري حريحون في حوالي 1090 للحصول على الأخشاب اللازمة لسفينة الإ له آمون المقدسة. وقد تلقت هذه البعثة إهانات كثيرة من طرف الامير زاكر

بعل حاكم جبيل ، ولم تحصل على بغيتها من الأخشاب إلا بعد دفع مقابل من المال ، وقبول شرط مغادرة المدينة (37).

وهكذا يتضح أن عظمة جبيل ارتبطت إلى حد كبير بصلاتها الاقتصادية والسياسية بمصر . أما مدينة بيروت (بيروتا) فان معلوماتنا عنها في العهود القديمة قليلة . ولا نعرف إلا أنها كانت من بين المراكز الفنيقية التي يعود تأسيسها إلى حوالي القرن الخامس عشر ق . م. وكانت في غالب الأحيان تدور في فلك مصر خاصة في عهد قوتها . وقد دمرت عدة مرات ثم أعيد بناؤها . وفي العهد الروماني اتخذت عاصمة للمقاطعة الرومانية في شرقي المتوسط .

3 — صيدا

يعود تأسيس صيدا **(Sidon)** إلى العهود الباكرة من توضع الفنيقيين على الساحل السوري أي حوالي الألف الثالث ق . م وفي هذا الصدد نذكر ما أورده المؤرخ جوستان **(Justin)** في كتابه تروجو بومبي **(Trogue - Pompee)** « حالما استقر الفنيقيون على أقرب شاطىء بحري بنوا مدينة أطلقوا عليها اسم صيدا بسبب كثرة السمك ... لأن السمك عند الفنيقيين يعتبر صيداً (38). وقد نتج عن وجود موقع صيدا الاستراتيجي والقائم على رأس ممتد داخل البحر . أن تزعمت مدينة صيدا المدن الفنيقية في الفترة الممتدة من القرن الرابع عشر ق . م حتى بداية القرن الثاني عشر ق . م فغدت من أشهر المراكز الفنيقية الهامة في شرقي البحر الأبيض المتوسط واستطاع بحارتها التجار أن يكونوا علاقات تجارية باكرة مع منطقة الدلتا في مصر ، وهناك أسسوا مراكز لهم في منف .

وقد سيطر الصيداويون من جهة أخرى على جزيرة قبرص الغنية بالنحاس . وكانت لهم بها مستوطنات امتدت سيادتهم منها إلى قبرص ورودس ثم جزر بحر إيجه الاخرى حتى وصلوا إلى الساحل اليوناني .

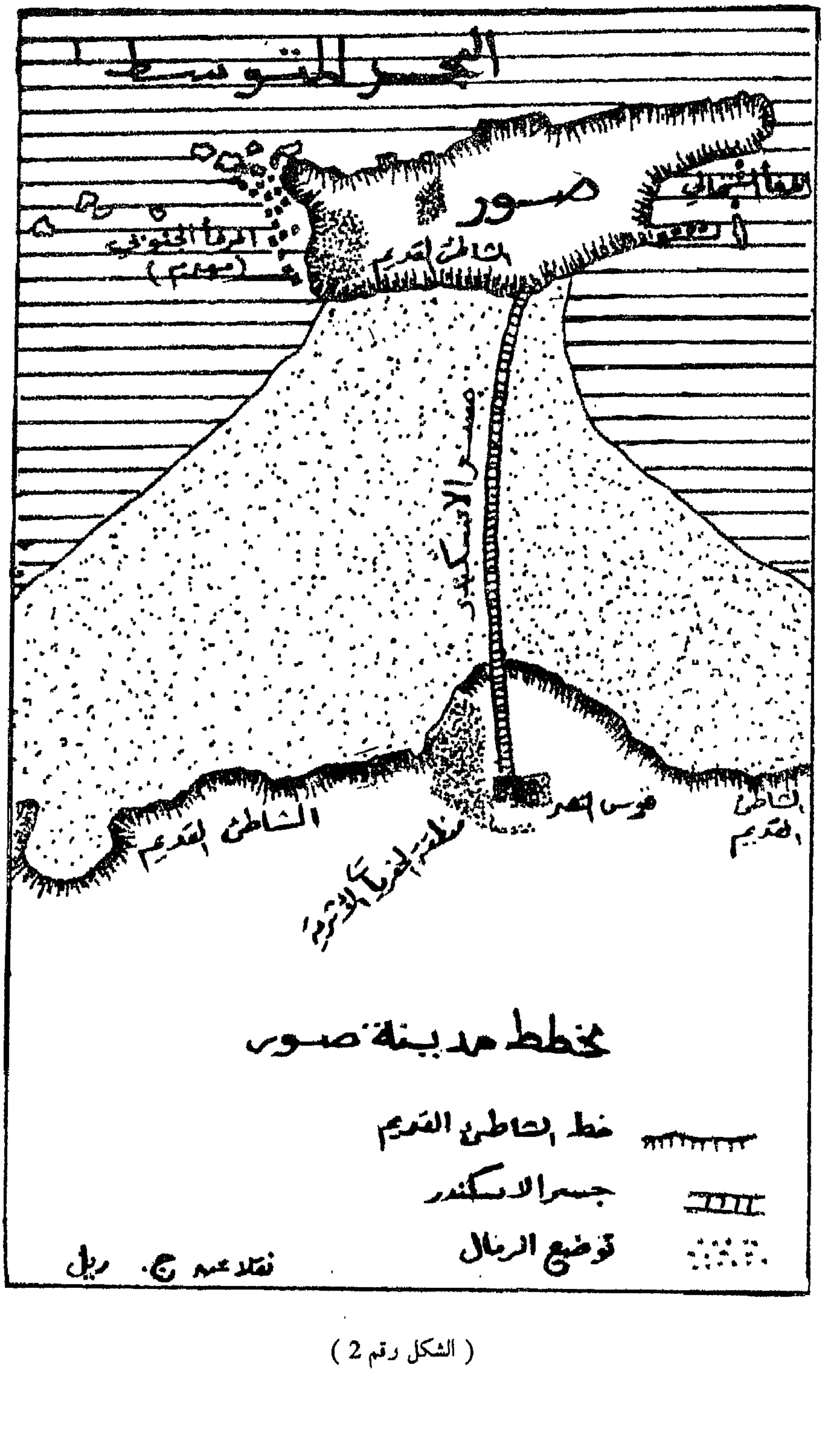
وقد أخذ سكان بلاد اليونان عن التجار الصيداويين طريقة الاسترشاد بالنجوم في أسفارهم البحرية ، واستعمال المقاييس والموازين » وكانت الكتابة الأبجدية أبرزما نقلاوه عنهم (39). ووقفت صيدا في عهد ازدهارها في وجه الهجومات الآشورية وخاصة في عهد ملوكها العظام : لولي وايتو – بعل وعبدي ملكوتي . واستمرت في ازدهارها ذلك حتى مجيء غزوة شعوب البحر الذين استقرت جماعة الفلسطينيين منهم في الناحية الجنوبية من الساحل الفنيقي (40). وتذكر الكتابات التاريخية أن ملك عسقلان الفلسطيني كان قد هدم صيدا عام 1195 ق . م مما اضطر سكانها إلى الهجرة نحو الشمال والانضمام إلى مدينة صور التي توسعت فيما بعد على يد هؤلاء المهاجرين الصيداويين .

ولتبيان مكانة صيدا التاريخية يجدر بنا أن نشير إلى التنقيبات الأثرية الحديثة التي أجريت فيها ، والتي أدت إلى اكتشافات أثرية هامة يعتبر مدفن تابنيت ومحتواه من توابيت حجرية جميلة في طليعتها .

4 – مدينة صور

تعتبر مدينة صور (Tyr) من بين المدن الفنيقية الهامة الواقعة على الساحل الفنيقي . وتتكون من حيين متكاملين بني أحدهما على الشاطىء عند مصب نهر القاسمية ، وبني الثاني على جزيرة تبعد عن الشاطىء بحوالي ميل واحد (41). (أنظر الشكل رقم 2).

وقبل أن نشير إلى زعامة صور لمدن الساحل الفنيقي والذي دام من القرن العاشر ق . م حتى القرن الخامس ق. م والدورين السياسي والاقتصادي اللذين قامت بهما في فترة ازدهارها ، لا بد أن نستعرض أولاً الآراء المختلفة التي وردت حول تأسيس المدينة . وفي هذا الصدد نشير إلى أن الأساطير القديمة تذكر بأن مدينة صور كانت قد سكنت في أول الأمر من طرف الآلهة الذين سلموها فيما بعد للجبابرة (42).


البحر المتوسط
صور
المرفأ الجنوبي
(مهدم)
الشاطئ القديم
جسر الاسكندر
قوس النصر
الشاطئ القديم
مخطط مدينة صور
خط الشاطئ القديم
جسر الاسكندر
توضع الرمال

(الشكل رقم 2)

أما المؤرخ هيرودوت (Herodite) فيروي بأنه أثناء زيارته لمدينة صور سنة 450 ق . م أكد له كهنتها بأن معبد الإ له (ملقارت) إله صور قد بني في نفس الوقت الذي بنيت فيه المدينة . وكان ذلك حوالي 2300 قبل زيارته لها (43). وعلى ذلك يكون بناء مدينة صور قد تم في حوالي عام 2750 ق . م . وهناك من المؤرخين الذين جاؤوا فيما بعد من يذكر بأن تأسيس مدينة صور كان قد تم على يد سكان صيدا الذين هاجروا مدينتهم بعد تدميرها . غير أن هذا الرأي الأخير لا يمكن أن يتطابق مع الحوادث التاريخية التي تسند إلى مواطني مدينة صور : مثلاً تأسيس المستعمرات الفنيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والذي يؤرخ له بحوالي سنة 1110 ق. م. كبداية لتأسيس مدينة قادس في اسبانيا وليكسوس في الغرب الأقصى إذ أنه لا يعقل أن يتسنى لمدينة ناشئة مثل مدينة صور أن تبني نفسها بمثل تلك السرعة ، وأن تتزعم المدن الفنيقية في الساحل الفنيقي ثم تنشىء المستوطنات في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . كل هذا في فترة لا تتجاوز خمسين سنة .

إذن فلا بد أن نشك في تاريخ التأسيس 1195 ق. م. ونأخذه على أنه فترة من فترات الازدهار التي مرت بها مدينة صور في أواخر الألف الثاني ق. م. على اعتبار أن تأسيسها كان قد سبق ذلك (44). ويتجلى الدور الحضاري الذي قام به سكان مدينة صور في قدرتهم على ربط العلاقات الباكرة بين شرقي البحر الأبيض المتوسط وغربه ، واكتشاف المحيط الأطلسي كذلك نقل الكتابة الأبجدية إلى الأمم التي كانت تجاورهم.

وقد امتاز الصوريون بالمهارة كتجار وكبحارة بكتمان اسم أو مسالك الطرق التي سلكوها مثلما جاء في وصف رحلتي حنون وخملكن (45). واستطاعت صور بهذه الطريقة أن تتحكم في التجارة الدولية لمدة ثلاثة قرون ابتداء من القرن التاسع حتى القرن السادس قبل الميلاد .

وتتلخص علاقة صور الخارجية في بداية الألف الأول ق. م. في

علاقتها مع العبرانيين في عهد ملكها حيرام الذي أمد سليمان الحكيم بالمهندسيين والفنيين والعمال لبناء معبد أورشليم ، وقصر الملك سليمان . كما زوده بأخشاب الأرز المشهورة من جبال لبنان بالإضافة إلى ذلك أعطاه بحارة ماهرين كانوا أول من وضع النواة الأولى لتأسيس الأسطول العبراني في البحر الأحمر . وكان حيرام يتقاضى مقابل ذلك ذهباً ومواد غذائية أخرى من الحبوب والزيت (46). وقد قام الملك حيرام بعدة مشاريع إصلاحية في مدينة صور منها ترميم معبد الإله (ملقارت) وبناء معابد وقصور جديدة . كذلك ربط الجزيرة الصغيرة القريبة من جزيرة صور بسور قوي ، وحسن ميناءها التجاري غير أن صور سرعان ما دخلت في حرب مع جيوش الامبراطورية الآشورية سنة 876 ق. م. أثناء اكتساح هذه الأخيرة للساحل الفنيقي في عهد الملك آشور ناصر بعل . ورغم المقاومة الشديدة التي أبدتها مدينة صور فانها خضعت في الأخير لدفع الجزية في عهد ملكها ايتو – بعل الأول واستمرت على ذلك تدفع الجزية في عهد شلمنصر الثالث 860 – 835 ق. م.

أما في عهد شلمنصر الخامس فان صور امتنعت عن دفع الضرائب وقامت بما يشبه الثورة على الحكم الآشوري . مما دعا شلمنصر الخامس إلى جمع أسطول بحري من المدن الفنيقية الأخرى المجاورة لصور محاولا اخضاعها ، لكنه فشل في آخر الأمر (47).

وبذلك نرى أنه في عهد الملك الآشوري سرجون الثاني الذي حكم حوالي 722 – 705 ق. م كانت كل مدن الساحل الفنيقي خاضعة للحكم الآشوري ما عدا مدينة صور .ولم تتوقف مجهودات صور في الدفاع عن نفسها فقط بل نراها تذهب إلى أكثر من ذلك فتحاول تأليف حلف من المدن الفنيقية للوقوف في وجه المد الآشوري الذي استفحل أمره في عهد الملك سنحريب ، وابنه سرجون الذي تسلم الحكم حوالي 681 ق. م. واستطاع هذا الأخير أن يقضي على هذا الحلف ، ويرغم صور على

دفع الجزية . وعلى ذلك بقيت صور تدفع الجزية للآشوريين حتى سقوط دولتهم حوالي سنة 663 ق. م.

وقد خضعت صور بعد ذلك للكلدانيين خلال القرن السادس ق.م. وفي عهد حيرام الثالث استبدلت صور النظام الملكي بالنظام الجمهوري وأصبح حاكمها يلقب بالسوفيت (Suffete) (48). ثم انتقل هذا النوع من الحكم منها إلى قرطاجة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وخلال العهد الفارسي كانت صور خاصة تابعة إسمياً للفرس وتدفع لهم الجزية . وكان أسطولها في هذه الفترة يضرب به المثل في شرقي البحر الأبيض المتوسط وقد شاركت السفن الصورية مع الأسطول الفارسي في غزو بلاد اليونان ، إلا أن معركة سلاميس (Salamis) عام 480 ق.م. كانت لها الضربة الفاصلة عند تحطيم الاسطول الفارسي الفنيقي . وبالرغم من ذلك فقد بقيت صور مدينة بحرية من الدرجة الأولى حتى حملة الاسكندر المقدوني عام 332 ق.م. الذي خضعت له كل مدن الساحل الفنيقي سلماً ما عدا مدينة صور فانها أوصدت أبواب أسوارها في وجهه مثل ما تعودت أن تفعل ذلك مع الغزاة الأجانب كالآشوريين والفرس الذين وضعوا أيديهم على الساحل الفنيقي (49). واكتفت صور بارسال الهدايا إلى الاسكندر معترفة له بحق السيادة الاسمية ودفع الجزية (50). لكن الاسكندر رفض ذلك وأبى إلا أن يستولي على المدينة ، فعمد إلى حمل أنقاض المعابد والأعمدة التي هدمها لبناء جسر يربط به الجزيرة باليابسة . وقد تحصن سكان صور في أول الأمر في جزيرتهم وتركوه يفعل ما يشاء غير أنهم عندما أحسوا بأن بناء الجسر وصل إلى مكان عميق تكثر به التيارات أرسلوا له سفناً مشتعلة أضرمت النار في المواد الخشبية والأبراج وآلات الحصار التي كانت تتقدم فوق الجسر . فتهدم الجسر من جراء ذلك وأيقن الاسكندر أن النصر لن يتم له ما لم تحاصر جزيرة صور بحرياً فطاف بالمدن الفنيقية الموالية له ، وجمع لهذا الغرض حوالي ثمانين سفينة أضافها إلى سفن قبرص وجزر البحر الايجي التي كانت موالية

اه فاجتمع لدية حوالي 224 مركباً حربياً حاصر بها صور . وبذلك تسنى لعمال الجسر أن ينجزوا أعمالهم ، فربطت صور باليابسة وتوحدت جهود جيوش الإسكندر البرية والبحرية فاستولى على المدينة عنوة ، بعد أن هدم أسوارها وقتل الكثير من سكانها وقد دام حصار الاسكندر لمدينة صور حوالي سبعة أشهر (51).

واعتباراً من هدم الاسكندر لها ، ظلت مدينة صور مرتبطة باليابسة حتى وقتنا الحاضر (أنظر الشكل رقم 2 ، ص 22) .

إذا تساءلنا عن العوامل التي كانت تكمن وراء قوة صور ، وتوجه سياستها الخارجية تجاه جيرانها فانه يمكن أن نعيد ذلك الى عدة أسباب منها :

1) موقع المدينة داخل البحر ومناعة أسوارها التي جعلتها في مأمن من كل الهجمات البرية ، هذه الهجمات التي كان يشنها من حين الى آخر الاشوريون والكلدانيون والفرس .

2) قوة أسطولها التجاري والحربي جعلاها تكتسب غنى مادياً وقوة حربية ،وبذلك استطاعت أن تغدق الهدايا والعطايا على كل الغزاة الطامعين فيكتفوا بتلقي الاموال الوفيرة في شكل جزية ، وبعد لواعن الاستيلاء عليها .

3) تبعية قرطاجة لصور ومدها بالاعانات المادية سنوياً في شكل هدايا لمعبد الاله (ملقارت) جعل مدينة صور معززة الجانب في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط .

4) العلاقات الحسنة التي سادت بين صور ومصر لمصلحة البلدين كانت هي الاخرى قد شجعت صور وجعلتها تقف في وجه الاشوريين وعلى سبيل المثال نذكر الحلف الذي تزعمته صور بقصد محاولة طرد الجيش الاشوري في عهد الملك سنجريب . فقد كانت مصر تحت حكم

الاسرة الخامسة والعشرين الكوشية قد شاركت في هذا الحلف وهدفها من ذلك هو زحف الاشوريين وكسر شوكتهم قبل بلوغهم حدودها (52).

بالاضافة الى الدوافع التي أشرنا اليها كانت صور قد بلغت ذروتها في الناحية الحضارية والثقافية ويشهد بذلك الصراع السياسي الداخلي الذي كان يدب بين طبقة الارستقراطيين والذي أدى الى هجرة اليسا (Elissa) على اثر انهزام حزبها وضعفه أمام حزب أخيها بغماليون (Pygmalion) فانتقلت الى الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ووضعت أسساً لمدينة جديدة أسمتها قرطاجة . وهذه الاخيرة لعبت دوراً فعالا مشابهاً لذلك الدور الذي قامت به صور من قبل ان لم يفقه في بعض الاحيان .

ج – الكتابة الفنيقية

لقد سبقت الابجدية الفنيقية بعدة كتابات أخرى نذكر منها على سبيل المثال الكتابة التصويرية التي ظهرت في وادي النيل والكتابة السومرية في جنوب الرافدين . وكانت كلتا الكتابتين متعاصرتين أو متقاربتين على الاقل في الظهور (53) ، واعتمدت كل من الكتابتين المصرية والسومريه في أول الامر على تصوير الافكار والاشياء ثم تطورت كل منها بطريقتها الخاصة فحلت العلامات الرمزية في كل منها محل التصوير بقصد ازالة الغموض والتعقيد الذي كان يسودها . فمثلا تطورت الكتابة الهيروغليفية المصرية الى الكتابة الهيراطيقية حوالي النصف الثاني من الالف الثالث ق. م ثم الى الديموطيقية حوالي 180 ق . م وحلت محل هذه الاخيرة الكتابة اليونانية في القرن الخامس ميلادي عند اعتناق المصريين للمسيحية .

أما الكتابة المسمارية فأنها تطورت هي الاخرى من كتابة تصويرية الى مقاطع تشترك في تكوين الكلمات . وقد انتشرت في معظم أنحاء آسيا الغربية ، فاستعملها الاكاديون والبابليون والعلاميون والحوريون ثم الحثيون

وكانت اللغة الاكادية ذات الكتابة المسمارية هي لغة المراسلات الدولية خلال النصف الاول من الالف الثاني ق . م وما بعده ، تدل على ذلك رسائل تل العمارنة . وقد ظهرت الكتابة السينائية في حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد (54) .

وفي هذا الصدد نشير الى ما ذكره العالم الاثري البريطاني ، السير فلندرز بيتري (Flinders-Petrie) الذي كان أول من بدأ التنقيب في منطقة سيناء في حوالي 1905 م (55) . ذكر هذا العالم بأنه اكتشف على جوانب مناجم الفيروز القديمة في سرابيط الخادم بسيناء كتابة غريبة كان بعضها مكتوباً بأحرف تشبه الكتابة الهيروغليفية وبعضها الاخر لا يشابهها .
وقد أطلق على هذه الكتابة اسم الكتابة السينائية (56) . وأثبت العالم اولبرايت (Albright) بأن ظهور الكتابة السينائية يعود الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . وأن الذين اخترعوها كانوا عمالاً أو أسرى ساميين يعملون مع المصريين في معامل الفيروز . وقد بلغ عدد الحروف السينائية حوالي 22 حرفاً ساكناً (57) .

أما تاريخ ظهور الكتابتين الكنعانية والفنيقية على الساحل الفنيقي والذي يهمنا في موضوعنا هذا فاننا سنناقشه على ضوء الاكتشافات الاثرية الحديثة في كل من مدن اوغاريت (رأس شمرا الحالية) وجبيل : ففيما يخص مكتشفات رأس شمرا التي بدأت التنقيبات فيها سنة 1929 باشراف العالم الاقرى الفرنسي كلودشيفر ومساعديه . يلاحظ بأن هذا العالم قد توصل في سنة 1930 الى اكتشاف الالواح الادغاريتيه التي ثبت بعد تحليل كتابتها المسمارية بأن بعض ألواحها كانت لغته سامية كنعانية وبعضها الاخر كانت لغته حورية . وقد شارك في تحليل الكتابة الاوغاريتية في عام واحد كل من العلماء باور (H. Bauer) الالماني ودروم (E. Dhorme) وفيرولو (C. Virollean) الفرنسيين . ثم نشر هذا الاخير (فيدولو) تحليل

هذه الكتابة في مجلة سوريا سنة 1930 (58) . وكانت نتيجة هذه البعثة العلمية في الوصول الى ضبط أبجدية رأس شمرا التي تتكون من 30 حرفاً منها 26 حرفاً ساكناً . وتتميز أبجدية رأس شمرا المسمارية ببساطتها بالنسبة للكتابة المسمارية العادية . ويعود تاريخ ظهورها الى حوالي القرن الرابع عشر ق. م، وكانت لا تكتب الا على الالواح الطينية (59) . كما أن اتجاهها كان من اليسار الى اليمين . ويشير المؤرخ بليني (Pliny) بأن الابجدية الفنيقية كانت قد أخذت من الكتابة المسمارية التي كانت تكتب بها اللغة الاشورية (60) .

وعلى ضوء الابحاث اللغوية المتعلقة بأصول الكتابة الابجدية الفنيقية أمكن التوصل بالاستناد الى الكتابة الابجدية في سيناء بأن هذه الابجدية الباكرة انحدرت عن أصول هيروغليفية مصرية . ولكن لا يعرف بعد هل أن هذا الاستنباط أي الاستفادة من أول حرف من الكلمات التصويرية لتحويله الى حروف أبجدية يعود الى المصريين أم الى عمال مناجم سرابيط الخادم في سيناء .

أما العالم اللغوي جاردنر (Gardner) الذي حلل الكتابة السينائية فقد توصل بعد مقارنات كثيرة الى أن الفينيقيين كانوا قد اعتمدوا في وضع أبجديتهم الاولى على الكتابة السينائية التي هي مزيج بين الكتابة الهيروغليفية . والكتابة الخطية التي هي عبارة عن قصر القيمة الصوتية لعلامات معينة على الحرف الاول (61) .

غير أن هذه الاراء المتشعبة التي أشرنا اليها كان قد أعيد النظر فيها بعد اكتشاف العالم الفرنسي مونتي سنة 1923 للكتابة التي وجدت على غطاء تابوت الملك حيرام والمتكونة من سطرين . وقد حلل كتابة تابوت الملك حيرام العالم ديسو (Dussaud) فأثبت بعد المقارنة والدراسة أن هذه الكتابة المتكونة من 22 حرفاً ساكناً تختلف عن كل الكتابات التي سبقتها كالهيروغليفية والمسمارية . وهي كتابة محلية فنيقية يعود ظهورها

الى نهاية الالف الثاني ق . م أي حوالي 1000 ق . م (62) . وقد نوه ديسو في كتابته بمجهودات الفنيقين في هذا الميدان وسبقهم لكل شعوب العالم في اختراع أول أبجدية من نوعها تناقلتها فيما بعد معظم شعوب العالم. وأشار ديسو بأنه يجب على العالم الاعتراف للفنيقيين بما هو من حقهم صدقاً فهم أصحاب اختراع من أكبر الاختراعات البشرية منذ أن تركوا بارادتهم الكتابة المعقدة التي كانت مستعملة في أيامهم . ومنذ أن ميزوا 22 صوتاً بسيطاً يتيح تسجيل المخارج المختلفة الساكنة في لغتهم (63) .

وهناك اختلاف كبير بين الابجدية التي اكتشفت في جبيل وكتابة رأس شمرا ويتلخص الاختلاف في أن أبجدية تابوت أحيرام كتابة خطية تكتب من اليمين الى اليسار وهي منقوشة على الصخور وتتميز بالبساطة بحيث لا تستدعي كتابتها كتبة متخصصين للقيام بكتابتها وعلى ذلك لم يكتب لها الانتشار .

وقد استطاع الفنيقيون خلال أسفارهم التجارية واحتكاكهم بكثير من الشعوب أن ينشروا كتابتهم دون عناء . فقد أخذها عنهم اليونان في حوالي القرن السابع ق. م بعد أن أضافوا اليها حروفاً للحركة . وعن هؤلاء أخذ الاتروسكيون واللاتين كتابتهم . ومن جهة أخرى أخذ الاراميون والعبرانيون الكتابة الفنيقية ثم تفرعت عن الكتابة الارامية الكتابة النبطية . وعن هذه الاخيرة تفرعت الكتابة العربية الشمالية (64) .

أما دوناند الذي كان قد اكتشف نقوشاً في جبيل يعود تاريخ ظهورها الى حوالي القرن السابع ق.م فانه يخالف ما جاء به ديسو ويذهب أن أسماء الحروف الفنيقية لا تشير الا الى مظهرها الشكلي . أما أصلها فيجب أن نبحث عنه في الكتابة الهيروغليفية التي وجدت في جبيل ولم يقض على الابجدية الفنيقية أو تستبدل بكتابة أخرى الا في العهد اليوناني حينما استبدلها اليونان بكتابتهم اليونانية ثم سار على منوالهم الرومان فيما بعد (65) وقد بقيت الكتابة الفنيقية بعد ذلك تمارس في قرطاجة تحت اسم

الكتابة البونية حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق . م . ثم بسطت بعد ذلك وأدخلت عليها بعض التغييرات ، وأصبح يطلق عليها الكتابة البونية الجديدة (Neopunique) واستمرت في التحريف بعد ذلك حتى بداية القرن الرابع للميلاد أو حتى العصر الاسلامي حيث أسدل عليها الستار نهائياً (66) .

اللغـــة الفنيقية :

ليست لدينا مادة كثيرة عن اللغة الفنيقية وذلك لعدة أسباب منها :

1) ضياع التراث اللغوي الفنيقي على يـــد الغزاة الاجانب الذين اجتاحوا منطقة الساحل الفنيقي ابتداء من غزوة شعوب البحر المدمرة حتى الاحتلال اليوناني للساحل الفنيقي في شرقي المتوسط ، وتدمير قرطاجة من طرف الرومان في الحوض الغربي للبحر المتوسط .

2) أن الفنيقيين لم يسجلوا لنا آدابهم وأفكارهم على مواد مقاومة للفناء لا تؤثر فيها عوامل الطبيعة مثلما فعل السومريون والاشوريون في تسجيل تراثهم على الالواح الطينية . ولذلك لم يبق من التراث الفكري الفنيقي الا ما سجل على المواد الصلبة . مثل الصخور واللوحات المعدنية .

3) ان زمن ازدهار الفنيقيين لم يكن طويلا حتى يسمح لهم بالالتفات الى الناحية الادبية والتاريخية فيسجلوا لنا الكثير منها .

4) لاننسى ما للمؤرخين اليونان واللاتينيين والعبرانيين الذين وصلتنا عن طريقهم أخبار الفنيقيين من تحيز وتحريف للحقائق التاريخية ، سواء أكان ذلك عن قصد أو عن عدم دراية وذلك لعدم معرفتهم اللغة الفنيقية .

وعلى ذلك فاننا سنقتصر في مناقشتنا لموضوع اللغة الفنيقية على الآتي :

1 — أسماء الأعلام .

2 — النقوش الاهدائية .

3 — الأدب الفنيقي .

1 — أسماء الأعلام :

تكون اللغة الفنيقية فرعاً خاصاً من اللغة الكنعانية ، وتتشابه مع اللغات السامية الأخرى في مرونة الألفاظ والتصريف الذي يطرأ على مصادرها . وغالباً ما يتكون فعلها من ثلاثة أحرف ، وتتفق مع اللغات السامية الأخرى في عدم كتابة الحركات حتى تزيل شكوك التردد والخطأ في النطق بكلماتها . وعلى هذا المنوال جاءت أسماء الأعلام الفنيقية كما أشار اليها المختصون في هذا الميدان عبارة عن أوصاف تشير إلى خاصية من الخواص مثل الابتهال أو اظهار الايمان أو الثناء على الرب وهناك أسماء أخرى مثل عبد : الذي يعني خادم ، وامه خادمة ، وبعل :سيد.الخ

2 — النقوش الاهدائية والجنائزية :

تشمل النقوش الاهدائية كل الأشياء المهداة إلى الرب تقرباً اليه لنيل رضاه والاستعانة به في قضاء المآرب والوقاية من الكوارث . وغالباً ما تحتوي صيغة الاهداء هذه على وصف القربان ثم تطلب في الأخير انزال البركة . ومثال نصوص اهداء هذه ما وجد في مالطة وحلله الرّاهب برتيلمي بعد الاستعانة بنصوص يونانية مماثلة له وجدت في نفس المكان. ومحتوى النص الآتي : إلى مولانا ملقارت بعل صور : هذا ما يهديه اليك عبدك أبدوشير ، وأخوه أوسير شمر إبنا أوسير شمر بن أبدوسير لأنه استجاب لدعائهم فليباركهم . وكذلك وجدت نصوص أخرى في قرطاجة مهداة إلى الآلهة تانيت بينه — بعل (Tanit-Pne-Baal) وإلى الإله بعل

حمون نذكر منها الصفة التالية : « إلى السيدة تانيت بنيه — بعل وإلى المولى بعل حمون : هذا ما أهداه بود — ملقارت بن عبد ملقارت بن هميلكت (Hamilkat) لأن الآلهة استجابوا لدعائه ، فليباركوه » .

أما النصوص الجنائزية فانها غالباً ما تكون مطولة أكثر من الإهدائية وتتناول عادة اسم الميت ومكانته ثم تتطرق إلى مناقبه . وفي الأخير تختم هذه النصوص باستنزال اللعنات على كل من يحاول النيل من البناء الجنائزي ومثال النصوص الجنائزية النص الذي وجد على غطاء تابوت الملك أحيرام الذي يعود تاريخ كتابته إلى حوالي نهاية الألف الثاني ق. م.

التابوت الذي صنعه ايتو بعل ابن أحيرام ملك بيبلوس لأبيه كمسكنه الأبدي « وإذا هاجم بيبلوس ملك أو حاكم أو قائد وعرض بهذا التابوت فليكسر صولجان حكمه وليسقط عرشه الملكي وليهجر السلام بيبلوس ، وأما هو فليمح انسان مشرد كتابته » . (67).

3 — الأدب الفنيقي :

إن كل ما نملكه عن الأدب الفنيقي لا يكاد يتجاوز بعض الأساطير القليلة المتعلقة بفكرة الخلق عند الفينيقيين ، والمناظرات الادبية التي تتمثل في النزاع السنوي بين اله النبات عليان بعل وخصمه موت (68) . وهناك موازنات من حيث اللغة والأفكار بين الأدب الذي ظهر على الألواح الاوغاريتية وما جاء في التوراة خاصة في الأوزان الشعرية ومن أشهر المؤرخين الفنيقيين الذين وصلتنا أخبارهم الكاهن سانخونياتون (Sanchoniaton) الذي عاش في حوالي القرن الحادي عشر ق . م . وقد اقتبس عنه فيلون الجبيلي في حوالي القرن الأول ميلادي وفي حوالي القرن الرابع ميلادي أخذ المؤرخ اليوناني أوزيب والملقب بأبي التاريخ الكنسي آراء سانخونياتون عن فيلون لينقدها (69) .

إلى جانب ما ذكرنا عن الأساطير وأخبار سانخونياتون نشير أيضاً إلى نصوص تقارير رحلتي حنون وخملكن الاستكشافيتين . والوصف الشامل للاماكن التي بلغتها رحلتا القائدين القرطاجيين (70). وقد ترجم التقرير ان من الفنيقية إلى اليونانية ثم إلى لغات العالم الأخرى . كذلك نذكر أيضاً في ميدان التاريخ والأدب الفنيقي النقش الذي سجل عليه هنيبعل حملاته في إيطاليا ثم أودعه في معبد جونو (Junon) وكان هذا النقش مزدوج اللغة فنيقية يونانية ، ولذلك أخذه المؤرخ الروماني تيت — ليف (Titus Livius) في كتاباته . يضاف إلى كل ما ذكرنا كتب الموسوعات الزراعية التي ألفها القائد ماغون (Magon) والتي أمر مجلس الشيوخ الروماني بترجمتها للاستفادة منها في ميدان الزراعة . وقد تأثر بها كل من كاتون (Caton) وفرجيل (Virgile) وغيرهما .

وخلاصة القول أننا نعتقد موقنين بأن مادة اللغة والأدب الفنيقيين تتجاوز ما أشرنا اليه في موضوعنا هذا . إذ أنه لا يعقل أن ينحصر تراث ذلك الشعب الذي استطاع أن يصنع معجزة اختراع أول أبجدية في العالم في بعض الأساطير والنقوش الكتابية . غير أن تضافر الأسباب التي أشرت اليها في مستهل كلامي عن اللغة هي السبب المباشر في ضياع هذا التراث.

الفَصلُ الثاني

عوامل التوسع الفنيقي في البحر المتوسط

1) العوامل السياسية .

2) العوامل الاقتصادية .

3) العوامل الاجتماعية .

عوامل التوسع الفنيقي في البحر المتوسط

لمعرفة الأسباب التي دعت الفنيقيين للتوسع في البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الواقعة ما بين نهاية الألف الثاني وبداية الألف ق . م. يجدر بنا أن نولي جانباً من الاهتمام للعلاقات الدولية التي كانت سائدة آنذاك في منطقة الشرق الأدنى القديم ، لنتعرف على مدى تأثر منطقة سواحل المتوسط الشرقية بها . وسنقتصر في دراستنا لعوامل التوسع على ثلاثة عوامل رئيسية ، هي : العوامل السياسية والاقتصادية والإجتماعية .

1 — **العوامل السياسية** :

تعود العوامل السياسية التي دفعت الفنيقيين إلى التوسع في البحر الأبيض المتوسط ، إلى الصراع السياسي والعسكري الذي كانت تخوضه الدول المجاورة للساحل الفنيقي بقصد الاستيلاء على سوريا (1) وهذه الدول هي : الدولة المصرية في وادي النيل ، والامبراطورية الحثية في آسيا الصغرى ، ثم الدولة الآشورية في منطقة وادي الرافدين ، بالإضافة إلى وجود الآراميين في سوريا الداخلية والعبرانيين في فلسطين .

وقد بدأت علاقة الدولة المصرية بالساحل الفنيقي منذ حوالي الألف الثالث قبل الميلاد وكانت اعتباراً من عصر الملكية القديمة (الأسرة الخامسة بصفة خاصة) . تقتصر على التبادل التجاري حيث كان المصريون

يستوردون الأخشاب من غابات جبال لبنان لاستعمالها في مشاريعهم العمرانية وأبنيتهم الدينية ، وتعتبر جبيل أول مدينة فنيقية تلعب دوراً رئيسياً في العلاقات الفنيقية المصرية، وعرفها المصريون باسم كبن (Kupna) أو جبلة (Gadis) وورد في نقوش حجر باليرمو أن الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة المصرية قد جلب من لبنان حمولة 40 سفينة من الأخشاب لاستعمالها في بناء هرمه في دهشور (2).

وكان بجبيل في عهد الملكية القديمة ، جالية مصرية تعمل على تنظيم العلاقات التجارية . ويعزز هذا الرأي الآثار المتبقية من جدران المعبد المصري الذي عثر عليه في جبيل والذي كتبت على أحجار أسس بنائه أسماء بعض ملوك الدولة القديمة (3) وتتضح علاقة الساحل السوري بالملكية المصرية المتوسطة من خلال الهدايا الجنائزية التي عثر عليها في قبور أمراء مدينة جبيل والعائدة إلي عهدي أمنمحات الثالث والرابع 1850 — 1792 (4) .

أما في مصر فالاشارة إلى العلاقات السامية المصرية نلمسها في رسوم مقابر بني حسن شمال تل العمارنة . وأيضاً تتمثل في التعاون الجدي في استغلال مناجم النحاس والفيروز في شبه جزيرة سيناء الذي تمخض عنه اختراع الكتابة السينائية من طراف الساميين (5) غير أن علاقة مصر بالساحل السوري انتابها شيء من التغيير بعد طرد المصريين للهكسوس في أواخر القرن السادس عشر ق. م. إذ تحولت من علاقة تجارية إلى احتلال عسكري رافقه نفوذ سياسي . وبذلك أصبحت فنيقيا تمثل حدوداً أمامية للدفاع عن مصر ضد هجمات الأجانب الذين كانوا يسلكون الطريق الدولي عبر الساحل الفنيقي للدخول إلى مصر وتهديد أمنها وسلامتها .

وقد توطدت السيادة السياسية والعسكرية المصرية في فنيقيا في عهد الملك تحوتمس الثالث 1490 — 1436 م ، وذلك لنشاطه المتزايد في الاستيلاء على المدن الفنيقية الواحدة تلو الأخرى ، ويعتقد بأن حملات

تحوتمس الثالث الحربية على سوريا قد بلغت حوالي ست عشرة حملة قضى فيها على تحالف 350 أميراً كما وسع آفاق النفوذ المصري حتى النهر الكبير الشمالي . واستولى على عدة مدن هامة مثل مجدو في فلسطين وأرواد ، وسميرا في شمال الساحل الفنيقي (6). وقد حاول تحوتمس أن يقضي على المؤامرات السياسية التي كان يحيكها أمراء المدن الفنيقية ضد الوجود المصري بطرق سياسية فكان يأخذ أبناء هؤلاء الأمراء إلى مصر ويعلمهم مع أبنائه ثم يربيهم في قصره حتى إذ كبروا أعادهم إلى وطنهم ليحلوا محل آبائهم محافظين على ولائهم للفرعون المصري . إلا أن هذه السياسة لم تدم طويلاً بعد وفاة تحوتمس الثالث وذلك لأن منطقة سوريا كانت في نهاية الألف الثاني عبارة عن فسيفساء من الشعوب المختلفي الاتجاهات . ولذلك أصبحت مصر لا تهتم بالنفوذ السياسي بقدر ما تهتم بالنفوذ الاقتصادي المتمثل في الحصول على الجزية وتامين حدودها . وقد ترك تحوتمس أخبار انتصاراته في فنيقيا مسجلة على معبده في طيبة وظل نفوذ مصر قوياً في فنيقيا بعد وفاة تحوتمس الثالث وتولية ابنه امنوحوتب الثاني ثم حفيده تحوتمس الرابع ولم يضعف هذا النفوذ إلا في عهد امنوحوتب الرابع (اخناتون) 1371 — 1358 ق . م. الذي انشغل عن السياسة بالامور الدينية (7)

وقد استغل الحثيون في آسيا الصغرى فترة انشغال مصر فقدموا لبسط نفوذهم السياسي على شمال سوريا بعد أن استمالوا عدداً كبيراً من أمرائها الاموريين والفنيقيين . وتعود الاتصالات الأولى بين الفنيقيين والدولة الحثية إلى عهد الملك الحثي شوبيلوليوما الذي حكم من حوالي 1380 — 1355 ق. م. والذي توسعت في عهده الدولة الحثية على حساب ممالك المدن الكنعانية الشمالية ابتداء من مدينة أوغاريت شمالاً حتى جبيل جنوباً وقد كان العاهل الحثي المشار اليه على درجة كبيرة من الدهاء السياسي بحيث استطاع أن يؤلب معظم ممالك المدن في سوريا الداخلية على النفوذ المصري ويسعى لاستمالتها إلى جانبه وفق ما تذكره « مراسلات رأس

شمرا » ووثائق مراسلات تل العمارنة . وقد بقي الساحل الفنيقي مسرحاً للصراع بين الحثيين والمصريين ، حيث كان كل منهما يهدف إلى السيطرة على أكبر جزء منه . وأدى هذا الصراع في الأخير إلى الاصطدام المباشر في معركة قادش سنة 1296 ق.م. بين الجيشين المصري بقيادة رمسيس الثاني والتحالف الآموري الحثي بقيادة مواتاللي (Muwatalli) وقد ادعى كل من القائدين أن النصر كان حليفه (8).

وفي سنة 1280 ق. م. عقدت أول معاهدة عدم اعتداء وتصالح بين المصريين والحثيين بعد أن قسموا الساحل السوري إلى منطقتي نفوذ الشمال تحت النفوذ الحثي ، والجنوب تحت النفوذ الاسمي المصري (9). وقد بقي هذا التقسيم مستمراً حتى غزوة شعوب البحر التي اندفعت في بداية القرن الثاني عشر ق.م. فقضت على الامبراطورية الحثية في آسيا الصغرى ، وهدمت عاصمتها بوغازكوى (حاتوشا) ثم تابعت الغزو نحو الساحل الفنيقي فدمرت مدنه الكبرى مثل أوغاريت ، وبذلك جعلت حداً للنفوذ المصري . وقد تابعت شعوب البحر توغلها إلى فلسطين عبر الطريق الداخلي ، وهناك اصطدمت بقوات رمسيس الثالث عند حدود مصر ، واستطاع الملك المصري ردها بعد جهود كبيرة . وكان فرع من شعوب البحر يعرف باسم الفلستر (Philister) استوطن المنطقة الممتدة ما بين غزة جنوباً وجبل الكرمل شمالاً ، وخاصة في المدن الخمسة الموزعة على ساحل المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم فلسطين نسبة إلى الفلستر (10).

أعقب غزوة شعوب البحر المدمرة فراغ سياسي في منطقة الساحل الفنيقي استطاعت أثناءه بعض مدن الممالك الفنيقية أن تستعيد أنفاسها وتزدهر بسرعة فائقة (11) . وضمن ممالك المدن المزدهرة كانت مدينة صور ، وصيدا وجبيل . غير أن مدينة صيدا كانت قد هدمت على يد يد ملك عسقلان الفلسطيني ، وانضم سكانها إلى مدينة صور التي تسلمت زعامة المدن الفنيقية في هذه الفترة . وازدهرت تجارة صور البحرية لأن

أنظار سكانها اتجهت إلى جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه الغربية بقصد تنمية تجارتها والحصول على المواد الخام والمعادن الثمينة التي تفتقد اليها في الساحل الفنيقي .

لم تقتصر العوامل السياسية التي دفعت الفنيقيين إلى التوسع في البحر المتوسط على الصراع المصري الحثي أو مجيء غزوة شعوب البحر المدمرة، بل كانت فنيقيا أيضاً تعاني من جيرانها في الداخل كالآشوريين والآراميين والعبرانيين والفلسطينيين وقد بدأ نفوذ الدولة الآشورية يظهر في المنطقة بعد القضاء على الدولة الحثية التي كانت تحول دون توسعهم نحو الغرب (12) وازداد النفوذ الآشوري قوة في عهد الملك تجلات فلاسر الأول الذي يعتقد بأنه غزا سوريا وبلاد الحثيين في حوالي 1094 ق.م. وادعى بأنه احتل أمورو وأدخل مدن جبيل وأرواد وصور الفنيقية ضمن المدن التي تدين له بالولاء . ثم أمر بقطع أخشاب الأرز وحملها إلى بلاد ما بين النهرين لاستعمالها في بناء المعابد وفي عهد خليفته أشور ناصر بعل الثاني الذي حكم حوالي 884 — 859 ق.م. خضعت كل المدن الفنيقية إلى الآشوريين غير أن خضوعها كان مؤقتاً . حتى أنها عندما أحست بالقوة في نفسها تجمعت في معركة قرقر سنة 853 ق.م. محاولة الخروج عن السيطرة الآشورية فتصدى لهذا التحالف شالمناصر الثالث 859 — 824 ق . م. وحطمه ولكنه لم يسيطر سيطرة تامة على الساحل الفنيقي . كما ادعى في كتابته الأثرية التي تركها (13). وقد أرغمت المدن الفنيقية فيما بعد على دفع الجزية للآشوريين في عهد تجلات فلاسر الثالث 745 — 727 ق.م. وابنه شلمناصر الخامس الذين أعادا للدولة الآشورية اعتبارها في منطقة الساحل الفنيقي .

ويلاحظ بأنه إلى جانب الزحف الآشوري على الساحل الفنيقي كانت هناك بعض الشعوب السامية الأخرى التي كانت تسكن منطقة سوريا الداخلية وكان لها بعض التأثيرات على التوسع الفنيقي في

البحر الأبيض المتوسط . ومن هذه الشعوب نذكر الآراميين الذين نافسوا الفنيقيين في التجارة البرية مع بلاد ما بين النهرين . وكانت عاصمتهم دمشق مركزاً تجارياً هاماً شبيهاً بمدينة صور على الساحل الفنيقي (14). وفي الناحية الجنوبية الداخلية من سوريا كان العبرانيون يتطلعون إلى أخذ مكانتهم على الشاطىء الفنيقي خاصة في عهد داود وسليمان رغم صداقتهم للملك أحيرام في القرن العاشر ق. م. (15).

كل هذه الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في شرقي البحر الأبيض المتوسط سمحت للفنيقيين بأن يستغلوا ضعف البحرية الاغريقية التي تداعت عقب غزوة شعوب البحر في بداية القرن الثاني عشر ق .م. وانطلق الفنيقيون بعد ذلك إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لبناء مستوطنات تجارية بعيدة عن الصراع الذي كان يشغل جزأه الشرقي (16). وقد اختار الفنيقيون الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط لوجود فراغ سياسي فيه يرجع إلى تأخر سكانه في التطور وضعف القوة الحربية لديهم . وهذا الشيء يتناسب مع الروح التجارية الفنيقية التي كانت تنزع إلى العلاقات السلمية حتى يتوفر لها المجال لتنفيذ أغراضها التجارية (17).

2 — العوامل الاقتصادية :

ترتبط العوامل الاقتصادية للتوسع الفنيقي ارتباطاً وثيقاً بالعوامل السياسية ذلك أن كلا العاملين يتأثر بالأوضاع الطبيعية والبشرية التي كانت تحيط بمنطقة الساحل الفنيقي ، فقد أدت قلة مساحة الأرض الزراعية في الساحل الفنيقي إلى تحويل اتجاه السكان من الاعتماد على الزراعة مثل جيرانهم في وادي النيل وبلاد الرافدين — إلى الاعتماد على التجارة البحرية والبرية . وقد ساعد الفنيقيين على احتراف التجارة أسباب عديدة نذكر منها :

1) مواقع مدنهم القائمة على رؤوس متوغلة داخل البحر ، وعلى جزر متقطعة بالقرب من الساحل . وهذا ما وفر لهم وجود موانىء طبيعية وأحواض تصلح لبناء السفن .

2) توفر الأخشاب التي اشتهرت بها غابات جبال لبنان على مر التاريخ ساعدهم على احتراف صناعة الأخشاب وبناء السفن بصفة خاصة

3) تحكم الساحل الفنيقي في الطريق الدولي الذي يصعد من وادي النيل عبر سيناء ويربط مناطق ازدهار الحضارات القديمة في شمال سوريا وآسيا الصغرى وبلاد الرافدين (18).

وكما ذكرنا سابقاً بدأت علاقة الفنيقيين التجارية بسكان وادي النيل منذ الألف الثالث قبل الميلاد . وكانت هناك جالية مصرية مقيمة في جبيل للمساعدة على تسهيل الأعمال التجارية بين فنيقيا ومصر (19). وأهم البضائع التجارية التي تصدر من فنيقيا إلى مصر ، الأخشاب والثياب الارجوانية والخمور والزيوت ، وقد كانت هذه الأخيرة تستعمل للتحنيط . كما كان الفنيقيون يستوردون من مصر مقابل ذلك الذهب ، والمصنوعات المعدنية ، ومادة الكتابة (أوراق البردى) وتدل نقوش معبد الملك ساحورع في أبوصير على مدى توطيد العلاقات التجارية بين مصر وفنيقيا في عهد الاسرة الخامسة المصرية حوالي 2480 — 2350 ق. م.(20) . وكان الفنيقيون يعملون كوسطاء تجاريين في ايصال بضائع دول شرقي المتوسط إلى الشعوب التي كانت في حاجة اليها في جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه الغربية . وسرعان ما قلدوا هذه الصناعات فأصبحت لهم بذلك شهرة صناعية خاصة في الثياب ذات اللون الارجواني التي انفردوا بصناعتها ، وصناعة الحلي والزجاج الشفاف . ومعظم هذه الصناعات المحلية ازدهرت في فنيقيا ازدهاراً كلية في فترة الاستقلال الممتدة من أواخر القرن الثاني عشر ق.م. حتى القرن الثامن ق.م. (21).

وقد نتج عن الازدهار الصناعي أن نشطت التجارة البحرية الفنيقية في البحر الأبيض المتوسط ، واحتكر الفنيقيون طرقها، ثم وجهوا عنايتهم لدراسة أصول الملاحة البحرية معتمدين في ذلك على براعتهم في معرفة الطرق البحرية التي كانوا يكتمون سرها ، أو يزورون حقائقها في بعض الأحيان حتى لا ينافسهم في ذلك تجار الشعوب البحرية الأخرى .ونظراً لاعتماد الصناعة الفنيقية على مواد خام ، لم يكن بعضها متوفراً في فنيقيا . فانهم كانوا يبحرون إلى الآفاق البعيدة في طلب هذه المواد التي كان بعضها متوفراً في الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل خامات الفضة والنحاس التي كانت مناجمها موجودة في ترشيش (Tartessus) باسبانيا ، والعاج والجلود للحيوانات ثم العبيد وتبر الذهب بافريقيا (22). وقد كانت ضرورة حصولهم على المواد الخام التي أشرنا اليها وبيع المنتوجات المصنعة تتطلبان إيجاد أسواق ومحطات تجارية يتصل من خلالها الفنيقيون بالسكان المحليين لتنفيذ عمليات البيع والشراء ، التي كانت تتم عن طريق المقايضة. ومن أجل تنفيذ هذا الغرض أسس الفنيقيون عدة محطات تجارية في كل من قبرص ، ورودس ، وصقلية ثم سردينيا ، واسبانيا والمغرب . وقد ترتب عن تأسيس محطة قادس (Gubla) على ضفة خليج النهر الكبير وبجنوب غرب أسبانيا . اكتشاف المحيط الأطلسي من قبل التجار والبحارة الفنيقيين الذين وصلوا فيما بعد عن طريقة إلى جزر كاسيتريدس (Casseteriades) في الشمال بالقرب من جنوب بريطانيا لنقل معدني القصدير والرصاص (23).

ومن جهة أخرى يذكر سترابون بأن سكان جزر كاسيتريدس (جزر القصدير) كانوا يبادلون موادهم الخام بالخزف والملح والأواني النحاسية (24). وقد رأى الفنيقيون بأن مستوطنة قادس لا يمكن أن تزدهر أو يسهل الاتصال بها ما لم تكن هناك مستوطنات أخرى بالقرب منها على الشاطىء الذي يربط بينها وبين فنيقيا الأم . ولذلك نرى الفنيقيين يؤسسون ليكسوس (Lixus) في القرن الحادي عشر ق.م. على الشاطىء

الغربي لبلاد المغرب وكذلك مدينة أوتيكا (Utica) على خليج تونس ثم يتبعون هذين المستوطنتين في بداية الألف الأول ق.م. ببقية المستوطنات والمحطات الأخرى التي وزعت توزيعاً ماهراً على كل شواطىء الحوض الغربي للبحر المتوسط . وقد أدى تأسيس المحطات والمستوطنات المشار اليها إلى تشجيع هجرة الفنيقيين إلى الحوض للبحر المتوسط وامتزاجهم بالسكان المحليين وكونوا المجتمع القرطاجي فيما بعد (25).

وخلاصة القول يمكن أن نقول بأن السعي وراء الأرباح التجارية والرغبة في الحصول على خامات المعادن الثمينة من اسبانيا وأفريقيا مضافة إلى التأثيرات السياسية والبشرية التي كانت تحيط بالساحل الفنيقي هي الأسباب الرئيسية التي دفعت الفنيقيين إلى التوسع في غربي البحر الأبيض المتوسط (26).

3– العوامل الاجتماعية :

لم يعرف الفنيقيون الوحدة السياسية في فترات كثيرة من تاريخهم حيث كانوا يتبعون نظام المدينة الدولة الذي فرضته عليهم عدة عوامل طبيعية وبشرية كانت تحيط بالمنطقة التي استقروا فيها . وقد نتج عن انباع سياسة المدينة الدولة أن سادت النزاعات الداخلية بين المدن الفنيقية وكثر التنافس بين الأمراء على الحكم ، مما جعل الساحل الفنيقي عرضة لأطماع الشعوب المجاورة ، غير أن النزاعات الداخلية بين المدن الفنيقية كانت لا تكتسي طابع العنف مثلما كان يقع بين المدن الاغريقية التي غالباً ماكانت النزاعات الداخلية بينها تؤول إلى حروب طاحنة تستنزف فيها امكانياتها البشرية والمادية . ويمكن أن تعود الأسباب المانعة لمثل هده النزاعات إلى قوة جيران الفنيقيين الأقوياء الذين كانوا في غالب الأحيان يقفون حاجزاً لمنع هذه المدن من الدخول في حروب قد تضر بمصالحهم الاقتصادية .

كما أن انفتاح الساحل الفنيقي على البحر الأبيض المتوسط جعل سكان المدن الفنيقية ينشغلون عن الحروب الداخلية بالأسفار البعيدة... الخ (27) وكانت المدن الفنيقية عبارة عن قلاع قوية محصنة بأسوار عالية يصعب على الأعداء اقتحامها لأن معظمها كان قد بني على رؤوس جزر داخل البحر ليسهل الدفاع عنها (28). وقد نتج عن اتباع الفنيقيين لسياسة الانحناء تجاه القوة المسيطرة في المنطقة أن قسمت فنيقيا وهمياً إلى قسمين شمالي : كان غالباً يدور في فلك الحثيين ثم الآشوريين فيما بعد ويستعين هؤلاء بهم على مدن القسم الجنوبي التي كانت غالباً ما تدور في فلك سياسة ونفوذ مصر ثم تستعين بها ضد الضغط الذي تعانيه من الناحية الشمالية . ويدعم فكرة الانقسام هذه رسائل تل العمارنة التي كان قد بعث بها رب عدي حاكم جبيل إلى الملك منحوتب الرابع (اخناتون) خلال القرن عشر ق. م. (29).

وقد حاولت المدن الفنيقية أن تتحد عدة مرات ، لكنها فشلت في ذلك بسبب السيطرة الأجنبية التي كانت تعانيها . كما كان أيضاً للصراع الداخلي الذي كان سائداً بين الآموريين والآراميين والعبرانيين في منطقة سوريا الداخلية ، تأثيره الخاص على ارتفاع نسبة السكان في الساحل الفنيقي بنسبة تفوق امكانيات الاستيعاب في المدن الفنيقية الساحلية ، وهذا العامل أدى إلى تفشي الاضطرابات والخلافات على السلطة بين الأعيان الأثرياء الذين كان لهم حق الحكم (30). وكان الهرم الاجتماعي الفنيقي مكوناً من ثلاث طبقات يأتي في أول الهرم الملك أو ما كان يعرف بحاكم المدينة . وقد كان يظن في أول الأمر بأن حكام المدن الفنيقية هم من سلالة الآلهة ، ولذلك يجب طاعتهم وتقديرهم . وتمتع بهذه الصفة حكام المدن الفنيقية الأقوياء مثل الملك أحيرام الذي كان له الحكم المطلق خلال القرن العاشر ق.م.

يلي طبقة الحكام في الترتيب طبقة الكهنة وعلى رأسهم كاهن معبد الإله ملقارت في مدينة صور ، ثم مجلس الأثرياء الارستقراطيين .وأخيراً

هناك مجلس عامة الشعب الذي كان يلتجأ إليه عند نشوب الخلافات السياسية التي تدب بين الطبقات وذلك بغية تنفيذ مآربها باكتساب أعضاء هذا المجلس إلى جانبها (31).

وكانت مجالس الطبقات الحاكمة التي أشرنا اليها بمثابة أحزاب سياسية لكل واحد منها أنصاره ومعارضوه في كل طبقات سكان المدن الفنيقية. وتتضح آثار النزاع على السلطة السياسية ، في الصراع السياسي الذي شبّ في مدينة صور ، خلال نهاية القرن التاسع ق.م. بين أليسا ، وأخيها بغماليون على وراثة العرش بعد وفاة والدهما متان Mutto) وقتل بغماليون لزوج أخته الكاهن عاشر باص بقصد الاستيلاء على ثروته وانتزاع الحكم من يد أخته . وقد انحاز لكل واحد منهما أنصاره .

عندما رأت أليسا عجزها عن الوقوف في وجه أخيها الطاغية ، فضلت الانسحاب من هذا الصراع صاحبة مؤيديها والابتعاد إلى موطن جديد (32). وكان ذلك في طليعة الأسباب التي دفعتها إلى الاتجاه نحو شمال إفريقيا ، وإلى بناء مدينة قرطاجة التي ستؤول اليها سيادة المستوطنات الفنيقية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط منذ بداية القرن السادس ق. م. والتي ستغدو في غربي المتوسط مضاهية لنظيرتها مدينة صور في شرقه .

الفصل الثالث

التوسع الفنيقي في غربي المتوسط

أ ــ نشوء البحرية الفنيقية

1 ــ البحرية التجارية

2 ــ البحرية الحربية

3 ــ الموانئ

ب ــ مرحلة التوسع

1 ــ مرحلة الارتياد الباكرة

2 مرحلة الاستيطان

3 ــ المشاكل التاريخية

أ ــ المصادر الكتابية . ب ــ المصادر المادية

التوسع الفنيقي في غربي المتوسط

تعددراسة التوسع الفنيقي من بين الدراسات الهامة في تاريخ حوض المتوسط ، ذلك لأنها تمثل مجهوداً بشرياً قام به هؤلاء الأقوام الذين استطاعوا بواسطة الملاحة البحرية أن يربطوا بين أجزاء مختلفة من العالم القديم.

ولكي نعطي فكرةعامة عن طبيعة وكيفية هذا التوسع لابد أن نهتم بدراسة الوسائل التي اعتمد عليها الفنيقيون في توسعهم ، والطرق التي سلكوها. كما أننا سنشير إلى الأغراض التي تكمن وراء توسعهم هذا ومما لا شك فيه أنالوسائل هي البحرية الفنيقية التي اشتهر بها الفنيقيون منذ استقرارهم على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .

أ — نشوء البحرية الفنيقية

وقفت سلاسل من الجبال الممتدة من الأمانوس شمالاً حتى جبل الكرمل جنوباًحاجزاً طولانياً موازياً لساحل البحر فحرمت الفنيقيين من السهولالزراعية الواسعة ، ومن أحواض الأنهار الكبرى ، الأمر الذي أدى بهم إلىالاعتماد على البحر في حياتهم الاقتصادية . غير أن هذه

الجبال من ناحية أخرى وفرت لهم مادة الأخشاب التي كانت مصدراً رئيسياً لبناء السفن التي نقلتهم إلى معظم أجزاء العالم . كما أن الحاجة إلى مادة الأخشاب كانت من بين الدوافع التي جعلت شعوب دول العالم القديم مثل المصريين وسكان منطقة ما بين النهرين يحاولون الوصول عن طريق الحرب إلى مصادر الأخشاب في سوريا حتى يسهل لهم الحصول عليها بغية استعمالها في مختلف حاجاتهم المعمارية وبناء الأساطيل . وقد اشتهرت أخشاب الساحل الفنيقي بالجودة والوفرة كما أشارت إلى ذلك نصوص الشواهد المصرية (1). ويظهر بوضوح النقش الذي ينسب لمعهد سيتي الأول ملك مصر مدى احتياج المصريين لأخشاب فنيقيا (2). كما أشير إلى أهمية أخشاب الأرز الفنيقية في الاتفاقية التي تمت بين أحيرام ملك صور . وسليمان الحكيم ملك العبرانيين في بداية الألف الأول ق.م. (3).

أما حاجة بلاد ما بين النهرين إلى الأخشاب الفنيقية فقد ظهرت في الرسوم المنقوشة على جدران قصر خرسباد الآشوري الذي بني سقفه ومرافقه الأخرى بأخشاب أرز فنيقيا التي كانت تفرض على الفنيقيين ضمن الجزية التي كانت تدفعها مدنهم للأشوريين وكان أول عمل قام به الملك تجلات فلاسر الأول حينما غزا شمال فنيقيا سنة 1094 ق.م. هو قطع الأخشاب وحملها إلى أشور لاستعمالها في هياكل الإلهة (4). بالإضافة إلى احتياج الجيران كانت فنيقيا نفسها تستعمل الأخشاب بكثرة في صناعتها الداخلية مثل بناء المعابد وصناعة السفن الخ ..

وكان نقل الأخشاب من أماكنها في أعالي الجبال يتم بطريقتين :

1 ــ تجمع الأخشاب في مجرى السيول والوديان الفصلية التي غالباً ماتفيض في الشتاء فتجرفها إلى الأماكن المعدة لها على السواحل .

2 ــ تقطع الأخشاب وتحمل من طرف العمال مباشرة ، كما أشير إلى ذلك في اتفاقية حيرام وسليمان التي ذكرناها آنفاً .

بعد نقل الأخشاب إلى أسفل تجمع في شكل أرماث ثم تصدر خارج فنيقيا أو توضع في أحواض خاصة ويشرع في صناعة القوارب ثم السفن التي تكون البحرية الفنيقية بنوعيها التجارية والحربية . وغالباً ما كانت أحواض صناعة السفن توجد ضمن الموانىء البحرية .

1 ــ البحرية التجارية :

تأثر تاريخ ظهور البحرية الفنيقية في شرقي المتوسط بعدة عوامل اقتصادية وسياسية نتج عنها سبق البحرية التجارية زمنياً للبحرية الحربية . وقد كانت القوارب والسفن الفنيقية في أول الأمر معدة للاحمال الخفيفة مثل الصيد ونقل البضائع بين المدن الفنيقية نفسها وذلك لصعوبة الطرق البرية التي تربط بين هذه المدن . ولم يغامر الفنيقيون في أول الأمر في وسط البحار بل كانوا يحاذون الشواطىء في أسفارهم التجارية .

ونظراً لأن سرعه السفن الفنيقية كانت في بادىء الأمر لاتتجاوز بضعة أميال ، فان مدنهم على الساحل الفنيقي ، ومستوطناتهم على شواطىء الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كانت قريبة من بعضها بحيث لا تزيد المسافة الفاصلة بين كل مدينة وأخرى عن ملاحة يوم كامل وقد ترتب عن فقدان عنصر السرعة في السفينة الفنيقية اتباع التجار الفنيقيين لمبدأ إقامة الاساكل **(Escales)** على الشواطىء أثناء أسفارهم البعيدة التي كانوا يقومون بها إلى غربي البحر الأبيض المتوسط . وكان غرضهم من ذلك أن تجد سفنهم مساء كل يوم من السير شاطئاً تأوي اليه ليستريح بحارتها من عناء التجديف اليومي ، ويتزودون بالمؤن اللازمة لمواصلة الرحلة .

هذا وتختلف السفن التجارية في شكلها عن السفن الحربية ، حيث أن الأولى كانت مستديرة ، وتظهر بمقدمة ومؤخرة مرتفعتين ، وشكل

المقدمة غالباً ما يشبه عنق ورأس طير ، وكانت السفن التجارية في أول الأمر شراعية ثم تقدمت صناعتها عندما أصبحت تتوغل في البحار والمحيطات فزودت بالمجاذيف التي تستعين بها في غالب الأحيان عند الدخول إلى الموانيء أو الخروج منها في حالة سكون الرياح . وهي تشبه إلى حد كبير السفن المستعملة حالياً في موانيء سوريا والتي يطلق عليها اسم الماعون (Mahounes) (5)، ويشترط في السفينة الفنيقية التجارية سعتها الكبيرة لحمل الكثير بغض النظر عن عامل السرعة . وقد وجدت عدة نماذج لسفن تجارية فنيقية منقوشة على جدران قصر خرسباد الذي بني في عهد سرجون الثاني ملك أشور في القرن الثامن ق.م. (أنظر الشكل رقم 3) ص 51 .

أما في مصر فان أقدم رسم للسفن التجارية عثر عليه منقوشاً على جدران قبر أحد ملوك الاسرة الثامنة عشرة في مدينة طيبة يرجع تاريخه إلى حوالي القرن الخامس عشر ق.م. (7). وكان الرسم يمثل شكل سفينة مستديرة طرفاها الأمامي والخلفي مرفوعان ارتفاعاً عمودياً،وفي مقدمتها يقف بحار يمسك بيده عصا طويلة يجس بها الاعماق . بالاضافة إلى ذلك كانت السفينة أيضاً مجهزة بصاري مركزي مد عليه شراع مربع . وهناك رسم آخر لسفينة شراعية فنيقية عثر عليها الأثريون سنة 1914 مرسوماً على جانب إحدى التوابيت في مدينة صيدا بفنيقيا نفسها ، وكان هذا الرسم عبارة عن جسم سفينة مستديرة مؤخرتها مرتفعة على شكل رقبة طير البجع ، ومقدمتها تنتهي بسقيفة حارس ولها قلع كبير مربع محمول على صاري مركزي تدفع بواسطة السفينة ، وفي المقدمة صاري صغير به قلع يستعان به على تحريك الدفة ، وتوجه السفينة من مركز فوقها (8). ورغم أن الفنيقيين كانوا لا يعرفون البوصلة فانهم كانوا يعتمدون في أسفارهم على النجم القطبي الذي سماه اليونان باسم فونيكس (Phoinx) وقد بلغ الاسطول الفنيقي التجاري أقصى ازدهار في شرقي البحر الأبيض المتوسط منذ القرن الحادي عشر ق.م. في عهد صيدا وصور (9)



(الشكل رقم 3)

صورة للمراكب الفنيقية التجارية والحربية

واعتباراً من القرن السادس ق.م. بدأت قرطاجة تتسلم مكان صور في سيادة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وواصل الاسطول الفنيقي ازدهاره تحت زعامتها إلى أن اضمحل نهائياً في نهاية الحرب البونية الثانية 201 ق.م. إذ بموجب معاهدة الصلح التي أبرمت بين روما وقرطاجة التزمت هذه الأخيرة بالتخلي عن سطولها البحري فيما عدا 10 سفن (10).

2 — البحرية الحربية :

لقد اشتهر الفنيقيون منذ عهودهم الباكرة على الساحل السوري بأنهم تجار ماهرون استطاعوا أن ينفذوا إلى أجزاء مختلفة من العالم بواسطة التجارة والمبادلات السلمية دون أن يثيروا الشكوك حولهم . كما كانت لهم سهولة التأقلم مع أي وضع سياسي في المناطق التي ينزلون بها لأن هدفهم كان هو الكسب التجاري والحصول على الأرباح الطائلة دون محاولة للتدخل في الأوضاع السياسية السائدة هناك (11) . وورد في التوراة على لسان حزقيال وصف يكاد يكون شاملاً للمواد التي تصنع منها السفن وللنشاط الاقتصادي الفنيقي في البحر الأبيض المتوسط الذي كانت تتزعمه مدينة صور : « قل لصور أيتها الساكنة عند مدخل البحر ، تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة هكذا قال الرب ، ياسور أنت قلت أنا كاملة الجمال تخومك في قلب البحور . بناؤوك تمموا جمالك عملوا كل ألواحك من سرو سنير . أخذوا أرزاً من لبنان ليضعوه لك سواري صنعوا من بلوط باشان مجاذفك صنعوا مقاعدك من عاج مطعم . كتان مطرز من مصر هو شراعك يكون لك راية . أهل صيدون وأرواد كانوا ملاحيك . حكماؤك يا صور الذين كانــوا فيك هم ربابينك . شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيك قلافوك . جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك بنوا أرواد مع جيشك على الأسوار من حولك والأبطال كانوا في بروجك علقوا أتراسهم على أسوارك.هم تمموا جمالك . ترشيش تاجرتك بكثرة كل غني بالفضة والحرير والقصدير والرصاص أقاموا أسواقك بنفوس

الناس وبآنية النحاس أقاموا تجارتك » (12).

وقد سبق أن أشرنا إلى أن البحرية التجارية لدى الفنيقيين كانت أسبق من الحربية ولا نستطيع أن نحدد تاريخاً معيناً لظهور هذه الأخيرة في شرقي المتوسط غير أن الذي نعرفه هو أن الفنيقيين كانوا يقودون البحرية الحربية في بلاد الشرق القديم . وكان الاشوريون عند استيلائهم على الساحل الفنيقي يستخدمون سفن المدن الخاضعة لهم لاخماد ثورات المدن الأخرى التي كانت تمتنع عن دفع الجزية وتحاول القيام بثورات مضادة للحكم الآشوري من آن لآخر . ويؤكد ذلك انضمام سفن كل من صيدا وعكا، وصور التي في البر إلى الملك الآشوري شلمناصر الثالث أثناء حصاره لمدينة صور سنة 722 ق.م. والذي دام لمدة خمس سنوات تم انتهى بمعاهدة التزمت فيها صور بدفع الجزية للآشوريين (13) . كذلك طلب الملك الآشوري سنحريب من الفنيقيين أن يبنوا له أسطولاً حربياً عندما أراد أن يخضع المنشقين عنه في جنوب بلاد ما بين النهرين ، ووجد ضمن بقايا قصره في نينوى رسم منقوش يصور جزء من حملته تلك (14).
وقد بقي للاسطول الفنيقي الحربي أهميته في شرقي المتوسط حتى في أثناء الحقبتين البابلية والفارسية ، من ذلك أن ملك صيدا في العهد الفارسي كان هو الاميرال الكبير للاسطول الفارسي . كما شاركت السفن الحربية الفنيقية ضمن الاسطول الفارسي في معركة سلاميس (Salamis) سنة 480 ق.م. وآخر ضربة وجهت للقضاء على الاسطول البحري الفنيقي في شرقي البحر الأبيض المتوسط يمثلها استيلاء الاسكندر المقدوني على مدينة صور سنة 332 ق.م. بعد أن حطم أسطولها الحربي بمساعدة السفن القبرصية .

أما بصدد البحرية في غربي المتوسط فان تاريخها يعود إلى القرن السادس ق م عندما تسلمت قرطاجة سيادة المستوطنات الفنيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط بعد استيلاء نبوخذنصر على مدينة صور سنة574

ق.م. (15). وقد أصبحت قرطاجة بعد ذلك تهيمن على تجارة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مما دعاها إلى الاعتناء بأسطولها الحربي حتى تضمن لنفسها السيطرة الكاملة على المنطقة .

غير أن قرطاجة كانت قدبدأت تخشى من مزاحمة الدويلات الإغريقية في جنوب ايطاليا وصقلية منذ أن أحست برغبة التوسع التجاري تدفع سكان المدن الاغريقية لمنافسة الاتروسكيين والقرطاجيين في السيادة على البحر التيراني بقصد حماية الطريق الرابطة بين صقلية وماسيليا (مرسيليا حالياً) التي أقيم فيها مركز تجاري اغريقي (16). لذلك نرى أن قرطاجة تتحالف مع الاتروسكيين في معركة الاليا (Alalia) بكورسيكا سنة 535 ق.م. لتحطيم الاسطول الاغريقي (17). ثم عمد القرطاجيون بعد ذلك إلى طرد الاغريق من جنوب اسبانيا ، ووقفوا في وجه توسع المراكز الاغريقية في قرينة بليبيا (Cyrenaica) وذلك بمنعهم لدوريوس (Dorieus) ابن ملك اسبارطة من التوسع التجاري في سواحل ليبيا باتجاه خليج السرت غرباً سنة 501 ق.م. ولم تقتنع قرطاجة فقط بمحاصرة الاغريق ، بل وقعت عدة معاهدات مع روما التي كانت بدورها تحاول أن تأخذ مكانها على الشاطىء الشمالي للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . غير أن الاسطول القرطاجي الحربي كان قد تلقى ضربة قاسية لأول مرة من التحالف الاغريقي في معركة هيمرا (Himera) شمال صقلية سنة408ق.م. مما أدى بقائده هملكار الماغوني إلى الانتحار من جراء هذه الهزيمة . وقد أثر تحطيم الاسطول القرطاجي في هيمرا على حكومة « الأقلية » القرطاجية فاتجهت بعد ذلك نحو إفريقية وأصبحت تعتمد على الفلاحة في شواطىء بلاد المغرب ثم قامت بتجهيز اسطولين تجاريين أرسلت أحدهما تحت قيادة حنون إلى سواحل أفريقيا الغربية فعاد اليها محملاً بتبر الذهب والعاج وغير ذلك من خيرات إفريقيا الاستوائية ، ووجهت الثاني تحت قيادة خملكان (Himilco) إلى جزر « كاسيتريدس » جنوب غرب بريطانيا فجلب لها من هناك القصدير والرصاص (18).

وعلى العموم فقد الاسطول القرطاجي هيبته بعد « معركة هيمرا » وأصبح يتعثر بعد ذلك حتى جاءت الحروب البونية 264 — 146 ق.م. التي تقابلت فيها روما وجهاً لوجه مع قرطاجة في ثلا ثحروب قضي أثناءها على سيادة الاسطول البحري القرطاجي في غربي المتوسطاعتباراً من نهاية الحرب الأولى ، وبالتالي هدمت قرطاجة سنة 146 ق.م.

أما من حيث الفروق القائمة بين السفن التجارية والحربية فان هذه الأخيرة (أي الحربية) كانت مستطيلة الشكل ولها موءخرة مرتفعةومقدمة غالباً ما تكون في مستوى الماء مجهزة بكتلة حديدية في شكل سكة المحراث يطلق عليها اسم رأس الكبش (Ram) تستعمل لتحطيم سفن الأعداء أو قلبها في الماء أثناء الاصطدام بها (19). بالاضافة إلى ذلك كانت السفن الفنيقية تتميز بالخفة وسرعة الحركة في جميع الجهات أثناء مناورات الأعداء ، وهي تعتمد في سيرها على المجاديف بدلاً من الأشرعة التي تستعملها السفن التجارية ، وقد كانت في أول الأمر تعتمد على صفين من المجذفين ينتظم أحدهما فوق الآخر ، ثم تطورت صناعتها فيما بعد فأصبحت ذات ثلاث صفوف وأربعة..الخ .حتى التسع صفوف أحياناً20 وكانت السفن القرطاجية التي شاركت في الحرب البونية الأولى قد أختيرت من ذوات الخمس صفوف التي تتسع لحوالي 300 مجذف وتحمل على سطحها حوالي 100 مجذف بأمتعتهم . ولربما يكون هذا العدد غير مقبول إلا أن المثال الآتي سيوضح ذلك : ففي معركة أكنوموس (Ecnomus) البحرية سنة 250 ق.م. والتي عد من أبرز المعارك البحرية الحربية التي دارت بين قرطاجة وروما ، كان الاسطول القرطاجي في هذه المعركة يتكون من 350 سفينة تحمل على متنها 150 ألف جندي ، ومقابل ذلك كان الاسطول الروماني يتألف من 330 سفينة تحمل على متنها 140 ألف جندي روماني (11 . وهكذا نرى أنه إذا قسمنا عدد الجنود القرطاجيين على عدد السفن نحصل على حوالي 428 جندي وهو ماتحمله السفينة الواحدة ، وهذا يرينا صدق ما أشرنا اليه سابقاً .

ومن المرجح أن قرطاجة لم تكن في نزاعها مع الاغريق ، ثم مع الرومان بحاجة ماسة إلى السفن الحربية الوفيرة بقدر حاجتها إلى جيش من أبناء قرطاجة أنفسهم قوي في البر وفي البحر على السواء . وقد حاولت قرطاجة بعد معركة هيمرا سنة 480 ق.م. أن تتلافى هذا النقص باعتمادها على تجنيد المرتزقة غير أن ذلك لم يحل المشكل نهائياً بل أصبح هؤلاء المرتزقة يشكلون عنصر اضطراب ، ومصدر قلاقل بالنسبة لقرطاجة وستظهر نتيجة ذلك في أعقاب الحرب البونية الأولى (241) ق.م. أبان الثورة الخطيرة التي عرفت باسم « ثورة المرتزقة » (22).

ساعدت كثرة الموانىء الفنيقية على ازدهار الحركة التجارية لدى الفنيقيين ودفعتها نحو الأمام .وقد عمل الفنيقيون على اتباع مبدأ الميناءين في المدينة الساحلية الواحدة سواء أكان ذلك في فنيقيا الام أو معظم مستوطناتهم الأخرى في غربي المتوسط وكان هدفهم من ذلك في أول الأمر وضع سفنهم في مأمن من تقلبات الطبيعة وهيجان البحر ، ولذلك فانهم كانوا يختارون الميناء المحمي من الرياح ويرسون فيه (23). فمثلا إذا كانت الرياح شمالية فانهم يرسون في الميناء الجنوبي من المدينة وإذا كان العكس فانهم يختارون الميناء الشمالي وهكذا استطاع الفنيقيون ببراعة تفكيرهم أن يتقوا شر تقلبات الطبيعة في أول الأمر .

3 — **الموانيء** :

أما بعد ظهور بناء الأرصفة القوية والحواجز الجدارية التي تحمي الموانىء فان هدف الفنيقيين من مبدأ وجود الميناءين قد تغير فاصبح الغرض منه استراتيجياً (24). كذلك ساعد الفنيقيين على بناء الموانىء طبيعة بناء مدنهم على رؤوس داخل البحر أو جزر قريبة من الساحل . وقد بنيت على النمط الأول أي على (رؤوس) كل من صيدا التي كانت تتمتع بميناءين أحدهما إلى الشمال من المدينة ، والثاني إلى الجنوب منها.

ويعتقد بأن هذين الميناءين كانا متصلين من الداخل بقناة تربط بينهما.

وقد وصف المؤرخون ميناء صيدا الجنوبي بأنه كان يتكون من أرصفة وحواجز وأحواض ومحاط من الداخل بصخور ناتئة ربط فيما بينها فاصبحت تشكل رصيفاً قوياً في وجه الأمواج وهي الآن مغمورة بالمياه على عمق يتراوح بين 8 —15 م تحت سطح البحر (25) . وكانت مدينة قرطاجة في غربي البحر الأبيض المتوسط هي الأخرى قد بنيت على رأس داخل البحر وتتمتع بميناءين ، أحدهما تجاري له شكل مستطيل يحيط به سور قوي يبلغ عرضه حوالي4,53م يقفل مدخله بسلاسل حديدية (26). وهناك قناة توصل إلى ميناء داخلي له شكل دائر يهو الميناء الحربي الذي كان يعرف باسم القاطون (27). كذلك كانت بانورموس في صقلية ونورا في جنوب سردينيا تتمتعان بميناء مزدوج . وهناك نوع آخر من المدن الفنيقية التي بنيت على جزر وكانت هي الأخرى تحتوي على ميناءين من ذلك مثلاً مدينة صور (Tyr) التي كان ميناؤها الشمالي يعرف بالمرسى الصيداوي والجنوبي يطلق عليه المرسى المصري (28).

وتشير الكتابات التاريخية الى أن الملك أحيرام الـــذي ازدهرت في عهده صور حوالي القرن العاشر ق. م هو الذي أوصل بين جزيرة صور والجزر الصغيرة المحاذية لها بسور ثم كون الميناءين الشمالي والجنوبي طبقاً للعادة الفنيقية وربط بينهما بقناة داخلية (29) وعلى هذا المنوال كانت مدينة قادس في الطرف الجنوبي الغربي من شبه ايبيرا ، هي الاخرى قد بنيت على جزيرة ، وتتمتع بنظام الميناءين التجاري والحربي وقد قدم سترابون وصفاً دقيقاً لطبوغرافيتها الا أن ذلك الوصف لا يطابق واقع قادس الحالي وذلك بسبب التغيرات التي انتابت موقـــع المدينة والتصاق جزيرتها باليابسة (30). وكـــانت مراكز الفنيقين في كل من ايبيزا (Ibiza) في الباليارو موتيا (Mottya) في صقليـــة تتبعان أسلوب الميناء المزدوج (31) . ويحتمل بأن المـــدن والمراكز

الفنيقية المزدوجة الميناء هي التي كانت تمثل القواعد الحربية الفنيقية خاصة في فترة الالف الاول قبل الميلاد .

ب — مراحل التوسع

لقد كانت وضعية ممالك مدن الساحل الفنيقي قبل مستهل القرن الثاني عشر ق . م غير ملائمة ذلك لان هذا الساحل كان يمثل امتداداً لنفوذ جيرانه الاقوياء ، الامبراطورية المصرية في الجنوب ، والدولة الحثية في الشمال ، غير أن غزوة شعوب البحر المدمرة التي انطلقت من شمال بلاد اليونان مجتاحة جنوبه وآسيا الصغرى ثم الساحل السوري كانت قد دمرت كل معالم الحضارة التي وجدتها أمامها ، وبالتالي كان لها أثرها العميق في تغيير الاوضاع السياسية في المنطقة حيث قضى على الدولة الحثية في شمال الساحل الفنيقي من قبل هؤلاء الغزاة بعد تدمير عاصمتها بوغاز كوى (حاتوشا) حوالي سنة 1200 ق. م ووضع حداً للنفوذ المصري في الجنوب (32) .

وقد ترتب عن هذا التغيير أن أصبحت مدن الساحل الفنيقي التي استعادت قوتها بسرعة فائقة تنعم بفترة استقلال دامت حتى القرن التاسع ق . م عندما ظهرت قوة الدولة الاشورية في المنطقة على يد أشور ناصر بعل الثاني 878 ق . م ولكن أخبارنا عن فترة الاستقلال هذه قليلة جداً ، ذلك لاننا نستقي معلوماتنا عن الفنيقيين من وثائق جيرانهم التي لم تشر الى هذه الفترة لأن هؤلاء الجيران كانوا بعيدين عن المنطقة ، كما أن الفنيقيين من جهة أخرى لم يتركوا لنا ما يشير الى هذه الفترة بالتفصيل فيما عدا تلك المعلومات التي تشير الى زعامة صيدا وصور للمدن الفنيقية منذ القرن الثاني عشر ق . م .

وكانت صيدا هي التي تقلدت هذه الزعامة في أول الامر فعملت على انماء الحركة التجارية الفنيقية في شرقي البحر الابيض المتوسط ،

وبذلك أصبح المجال مفتوحاً للفنيقيين بعد سقوط البحرية الايجية التي كانت تسيطر على تجارة شرقي المتوسط على يد الاقوام الدورية (33) ومد الفنيقيون سيادتهم الى جزيرة قبرص فأسسوا فيها مدينة كيتيون (Kition) وقد وجد مكتوباً على نقود صيدا بأنها المؤسسة لمدينة هيبون (Hyppo-Rigius) في شمال افريقيا، ومدينة كيتيون في قبرص ، ويذكر هوميروس في الالياذة بأن تجارة الاقمشة والنحاس في هذه الفترة كانت من احتكار مدينة صيدا وحدها (34) .

غير أن ازدهار صيدا وسيادتها البحرية لم يدوما طويلاً ، فسرعان ما نراها تترك المجال لمدينة صور بعد التهديم والنهب اللذين منيت بهما حوالي سنة 1195 ق . م من طرف ملك مدينة عسقلان الفلسطيني ، وكانت صور قبل هذه الفترة تابعة لصيدا حتى قيل بأن صيدا كانت أماً لصور (35) . وبعد كارثة التهديم التي أشرنا اليها في صيدا ، انتقل سكانها الى صور وتبوأت هذه الاخيرة مكانة الصدارة على الساحل الفنيقي ثم استعادت قبرص الى حظيرتها بعد أن كان سكانها قد امتنعوا عن دفع الجزية التي كانوا يقدمونها الى مدينة صيدا قبل ذلك ونظراً لقرب جزيرة قبرص من الساحل الفنيقي فانها كانت محط أنظار التجار الفنيقيين . كما أنها كانت تعتبر بمثابة محطة أولى على الطريق التجاري بين الوطن الام والبحر الابيض المتوسط الغربي عبر بلاد اليونان والمستوطنات الفنيقية الاخرى (36) . وكانت مراكز الفنيقيين في قبرص تحيط بالجزيرة .

ويشير المؤرخون الاغريق القدامى بأن الفنيقيين اشتغلوا بتعدين النحاس في الجزء الشرقي من قبرص . ثم حاولوا البحث عن معدن الذهب في نفس الجزيرة غير أنهم لم يجدوا التوفيق الذي وجدوه في بحثهم عن النحاس والفضة في الجزيرة نفسها (37) وقد عثر في كيتيون على بقايا أثرية فنيقية تعود الى ما بين العاشر ، والثامن ق . م

بالاضافة الى ذلك كانت أليسا (Elissa) أثناء خروجها مـن صور متجهة الى شمال افريقيا قـد نزلت بقبرص فاستقبلها كاهنها الـذي اصطحبته معها في رحلتها بعد أن رضيت بأن يكون حـق الاشراف الديني في المدينة الجديدة التي ستبنيها وقفاً عليه ، وعلى أسرته من بعـده . (38)

وقد حل الفنيقيون برودس فأسسوا فيها مراكز فنيقية أثناء رحلـة قدموس الاسطورية في شرقي البحر الابيض المتـوسط (39) . وليس من المؤكد بأن الفنيقيين كانوا قد نزلوا في كريت وانما يحتمل بأنـه كانت لهم علاقة تجارية مع جنوبها الشرقي . وحـل الفنيقيون في جزر البحر الايجي مثـل جزر السيكلاد (Cyclades) وثيرا (Theara) وميلوس (Melos) وأوليار وس (Oliaros) . كـما وصلوا الى بلاد اليونان الام ، وكانت لهم مراكز متنقلة في كل مـن طيبة وأثينا (40) وورد في شعر هوميروس بأن المراكب الفنيقية كانت تؤم بلاد اليونان محملـة بالاطاييب الفنيقية .

وقد تعلم الاغريق عن الفنيقيين صناعـة السفن الكبيرة والاسترشاد في أسفارهم البحرية بالنجـم القطبي . وحتى إذا لم يمكث الفنيقيون في بلاد اليونان أو لم تكن لهم مراكز تجارية مستقرة بها فاننا لا نستطيع أن ننكر العلاقات التجارية الباكرة التي قامت بين الشعبين الفنيقي الاغريقي على مر العصور ، والتبادل الحضاري المتمثل في أخـذ الكتابة الفنيقية من طرف الاغريق في القرن السابع ق . م ثم نقلهـا الى أوربا فيمابعد عن طريق هؤلاء الاخيرين . ويحتمل أيضاً أن يكـون وصول الفنيقيين الى جزر البحر الايجي وجنوب بلاد اليونان الام بمثابة الخطـوة الاولى التي مهدت لهم الطرق للوصول الى غربي البحر الابيض المتوسط ، واكتشاف المحيط الاطلسي فيما بعـد .

1 ـ مرحلة الارتياد الباكرة

يمكن أن نعيد مرحلة ارتياد الفنيقيين الباكــرة لغربي البحر الابيض المتوسط وبلاد المغرب الى فترة ازدهار المدن الفنيقية عــلى الساحــل السوري والتي بدأت منذ القرن الثاني عشر ق . م وكــان الفنيقيون خلال رحلاتهم الاستكشافية الاولى عبارة عن تجار متنقلين يجرون وراء الأرباح ، وخاصة عندما اكتشفوا قيمة المعادن الثمينة ، هــذه المعادن كانت متوفرة في غربي البحر الابيض المتوسط ، لا سيما في منطقــة شبه جزيرة ابيريا التي كانت تحتوي على مناجــم الفضة والنحاس في (ترشيش) . ويعتقد بأن المعدنين المذكورن كانا قريبين مــن سطح الارض بحيث لا يستدعي الحصول عليهما حفر المناجــم العميقة (41) .

ويشبه احتياج الفنيقيين الى معــدن الفضة والقصدير والرصاص في تلك الحقبة الباكرة من التاريخ باحتياج النهضة الحديثة الى معادن الذهب أو البترول . ولذلك لا غرابة أن نرى الفنيقيين يعملون عــلى تأسيس مراكز ومستوطنات في الاماكن التي تتوفر فيها هذه المواد الاوليــة التي كانوا يحملونها في سفنهم بقصد ايصالها الى الشعوب المصنعــة في شرقي البحر الابيض المتوسط مثل اليونان والمصريين ، وسكان الرافديــن . وقد ساعد الفنيقيين على تأسيس مراكزهم التجارية الاولى في شبــه جزيرة ابيريا جهل السكان المحليين باستعمال المعادن الموجودة في بلادهم وانكبابهم على اقتناء البضائع الفنيقية المصنعة التي كانت غالباً ما تتمثل في الثياب الارجوانية والفخارية ، والحلى ، والزجاج (42) .

ويحتمل بأن الفنيقيين في فترة الارتياد الباكرة هذه كانوا قد اسسوا محطات تجارية (Factories) يلتقي فيها السكان المحليون بالفنيقيين بقصد التبادل التجاري الذي كان يتم عن طريق المقايضة . وقد بدأت هذه المحطات الصغيرة تنمو وتتسع عن طريق الهجرات المتوالية من الساحل الفنيقي الى المحطات الجديدة . وخلال هذه الفترة الباكرة كان

الفنيقيون يحاولون اكتشاف طبيعة سواحل منطقة الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط لاختيار أماكن تصلح لبناء محطاتهم ومستوطناتهم التجارية المقبلة خاصة على شواطيء بلاد المغرب التي كانت معظم سواحلها صخرية . ومعرضة للرياح الشمالية فيما عدا منطقة شمال تونس (43) . وكان الفنيقيون من جهة أخرى يدركون مدى أهمية سواحل شبه جزيرة ايبريا ووسط غربي افريقيا التي جذبت انتباههم بمعادنها الثمينة ، وموادها الخام المتوفرة ، وبين فنيقيا الام في شرقي البحر الابيض المتوسط . لذلك نرى الفنيقيين يؤسسون محطة ليكسوس (Lixus) على السواحل الغربية لبلاد المغرب في وقت واحد مع تأسيس قادس Gadis) في شبه جزيرة ايبريا (1110 ق . م) ،وكذلك مدينة اوتيكا (Utiga) 1101 ق . م في الناحية الغربية من خليج تونس الحالي بالقرب من مصب نهر مجردة (44) . وقد تحولت هذه المدن فيما بعد الى مستوطنات اسكان احتك فيها أهالي البلاد حضارياً بالقادمين الجدد من الفنيقيين وقدتسارعت العملية بعد ازدهار مستوطنة قرطاجة التي استطاعت بحكم موقعها الاستراتيجي أن تتزعم كل المستوطنات الفنيقية في غربي البحر الابيض المتوسط منذ القرن السادس ق . م على الاقل .

وهكذا نرى أن عملية الارتياد الباكرة قد تمت في ظروف لا زالت المصادر المادية والكتابية غير متفقة عن تحديد معالمها (45) . ومن المحتمل أن المستوطنات الفنيقية في غربي البحر الابيض المتوسط كانت قد بدأت على شكل محطات تجارية مرتبطة بالوطن الام ولم تتحول الى مستوطنات الا بعد أن استكملت شروطها الاولى المتمثلة في تكاثر أعداد المهاجرين الفنيقيين في المحطات التجارية الجديدة ، ثم محاولة تعاونهم مع السكان المحليين بقصد اتاحة الفرصة لهم للعمل على تنفيذ مآربهم الاقتصادية ، وبالتالي انشاء حضارة جديدة ستعرف فيما بعد بالحضارة القرطاجية .

2 — مرحلة الاستيطان :

تعتبر فترة استيطان الفنيقيين في غـــربي البحر الابيض المتوسط مكملة لمرحلة الارتياد الباكرة التي أسلفنا الاشارة اليها ، وليس هناك تاريخ محدد قائم بذاته نستطيع أن نفصل به بين المرحلتين ، وانما يحتمـــل بأن المحطات الهامة والمراكز التجارية التي كانت قد أسست في مرحـــلة الارتياد الباكرة في كل شطري الحوض الغربي للبحـــر الابيض المتوسط الشمالي والجنوبي هي نفسها قد تحولت الى مستوطنات حينما اكتملت هـــا الشروط الملائمة لذلك .

وهناك من المؤرخين من يعيد فـــترة الاستيطان الفنيقي في غربي المتوسط الى القرن العاشر ق . م على اعتبار أن هذا القرن يمثـــل العصر الذهبي بالنسبة للساحل الفنيقي عامة ، ومدينة صور خاصة تحت حكم الملك حيرام بن أبي بعل (980 — 936 ق . م) الذي يعـــد المؤسس الحقيقي لمملكة مدينة صور (46) . واستطـــاع الملك أحيرام بحنكته السياسية وقوة شخصيته أن يوفر الاستقرار الداخلي ، ويحسن علاقـــة صور الخارجية السياسية والاقتصادية مع جيرانها . كما عمل على تشجيع التجارة البحرية في كامل شواطيء البحر الابيض المتوسط ، وحسن ميناء صور . واليه يعزو كثير من المؤرخين توطيد وتوسيع المستوطنات الفنيقية في غربي البحر الابيض المتوسط (47) .

وإذا صحت آراء المؤرخين فان تحويل المحطات التجارية الفنيقية الباكرة في غربي البحر الابيض المتوسط الى مستوطنات يرجع الفضل فيه بالدرجة الاولى الى مدينة صور التي آلت اليها الزعامة السياسية والاقتصادية على مدن الساحل الفنيقي منذ القرن الثاني عشر ق . م وحتى إذا شاركت بعض المدن الفنيقية في عملية الاستيطان هذه فقد فعلت تحت راية مدينة صور وبأمر منها ، ولعل من بين العوامل التي ساعدت على الاستيطان في غربي البحر الابيض المتوسط حذاقة وبراعة التجار الفنيقيين في كسب ود وصداقة

السكان المحليين . أضف الى ذلك تدفق التجار المهاجرين الفنيقيين من الوطن الام ، اكتشافهم للمحيط الاطلسي الذي لم يسبقهم اليه غيرهم من الشعوب البحرية الاخرى مثل الاغريق والمصريين (48) .

وعلى العموم فان الغرض من تأسيس مستوطنتي قادس وليكسوس على ساحل المحيط الاطلسي شمال وجنوب اعمدة هرقل مـــن طرف الفنيقيين لم يكن فقط لاغراض اقتصادية تستهدف الحصول على منتوجات شبه جزيرة ايبريا وبلاد المغرب الاقصى المتمثلة في معادن الفضة والقصدير والملح ، والاسماك المجففة . بل كان الهدف من وراء ذلك مواصلة الرحلات الاستكشافية عبر المحيط الاطلسي بدليل أن الفنيقيين فيما بعد خلال العهد القرطاجي كانوا قد انطلقوا من مدينة قادس عبر سواحل أوربا الغربية للوصول الى جزر كاسيتريدس (Cassiterides) وكورنوال (Cornwall) جنوب بريطانيا بحثاً عن القصدير والرصاص (49) . كما استعانوا بليكسوس للوصول الى سواحل غربي افريقيا الاستوائية بقصد الحصول على تبر الذهب ، وجلود الحيوانات المفترسة والعاج والعبيد (50) .

أما الجانب السياسي فان مرحلة الاستيطان الفنيقي في غربي البحر الابيض المتوسط تعـــد متممة للتاريخ الفنيقي في شرقه ذلك لان هذه المستوطنات كانت تابعة للمدن الفنيقية ، وخاصة مدينة صور التي كانت تتلقى الضرائب والهدايا السنوية لمعابدها ، وتعرف هذه المرحلة أيضاً في التاريخ المغربي بالعصر الفنيقي الذي يمتد حتى منتصف القرن السادس ق .م عندما تسلمت قرطاجة زعامة المستوطنات الفنيقية في غربي البحر الابيض المتوسط . وقد تميز العصر الفنيقي بالتبادل الاقتصادي والحضاري الذي تم بين المستوطنين وسكان الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط بصفة عامة ، وسكان منطقة بلاد المغرب بصفة خاصة مما ساعد الفنيقيين على الاستقرا ر في المنطقة .

ومن جهة أخرى فان هذا العصر كذلك تميز بوصول التجار الاغريق في وقت متأخر الى غربي البحر الابيض المتوسط (750 — 550 ق. م) وبدء المنافسة التجارية الفنيقية الاغريقية في صقلية وجزر البحر التيراني (51) غير أن هذه المنافسة في أول الامر كانت غالباً ما تكتسي طابعاً سلمياً ولصالح الفنيقيين الذين توزعت مستوطناتهم ، ومحطاتهم التجارية في شواطيء الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ولم تتحول الى صراع مسلح الا في بداية العصر القرطاجي .

3 — المشاكل التاريخية

أ — المصادر الكتابية

ب— المصادر المادية

من بين المشاكل التاريخية العويصة التي تعترض الدارس للتوسع الفنيقي الباكر في غربي البحر الابيض المتوسط ، قلة المصادر الكتابية والمادية الفنيقية الاصل ، وهذا مما يجعل المتتبع لتاريخ التوسع يعتمد في بحثه على ما كتبه المؤرخون القدماء الاجانب أمثـال الكتاب الاغريق والرومان ، وغيرهم ..ومن جهة أخرى فانه يعتمد أيضاً على مقارنة البقايا المادية التي يعثر عليها علماء الاثار من وقت لاخر في مواقع المدن والمستوطنات الفنيقية القديمة في غربي وشرقي المتوسط بتلك التي وجدت معاصرة لها في كل من مصر ، وبلاد الاغريق ، ثم فنيقيا الام ، وبدون ذلك لا يتسنى للباحث استخلاص التاريخ الحقيقي لبدء النشاط الفنيقي في غربي البحر الابيض المتوسط الذي لا يزال التضارب قائماً فيه بين المصادر الكتابية والمادية ، وعلى ذلك فاننا سنقدم فكرة عامة عن هذين المصدرين كل على حدة .

أ ـ المصادر الكتابية :

تعتمد المصادر الكتابية للتاريخ الفنيقي في غربي المتوسط على ما ذكره الكتاب الاغريق والرومان عن النشاط الفنيقي في غربي البحر الابيض المتوسط ، غير أننا قبل أن نستشهد بأقوال هؤلاء المؤرخين نرى أنه من الضروري أن نذكر بعض المآخذ العامة والصعوبات التي تقف حائلاً دون الاعتماد كلية على الآراء أو المعلومات المقدمة من لدن هؤلاء المؤرخين ويأتي في مقدمة هذه المآخذ :

1) اعتماد هؤلاء المؤرخين على أساطير تصور النواحي الدينية ، والاجتماعية والسياسية التي لا تخدم الحقائق التاريخية مباشرة .

2)اتخاذ بعض الاحداث التاريخية الاغريقية البارزة مثل دمار طروادة عام 1194ق . م ، والاحتفال بالالعاب الاولمبية الأولى عام 776 ق . م ثم تأسيس مستوطنة كوماي (Cumae) الاغريقية سنة 750 ق . م نقاط استناد بارزة تقاس عليها الاحداث التاريخية الاخرى ، وخاصة أحداث التوسع والاستيطان الفنيقي في غربي المتوسط وشمال افريقيا .

غير أن هذه الاحداث يمكن أن تصدق بالنسبة للتقويم الزمني الاغريقي، ولكنها غير صالحة لتقويم الاحداث الزمنية العالمية ، لا سيما بالنسبة لتلك الشعوب التي لم تحتك بالعالم الاغريقي منذ حوالي القرن الثامن ق . م (52) . كما أنه لا يمكن أن نثق في الكتابات التاريخية الاغريقية التي تتناول نهاية الالف الثاني ق . م ما دمنا نعرف بأن الذين دونوها مؤرخون لم يعاصروا تلك الاحداث ، بل عاشوا في زمن متأخر كثيراً عنها . وأقدم مؤرخ اغريقي كان قد تعرض في كتابته لوصف بلاد المغرب هو هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس ق . م ولذلك فان القرون الخمسة الاولى من الالف الاول قبل الميلاد تكاد تكون مجهولة (53) .

3) يؤخذ على المؤرخين الاغريق ، والرومان عند تناولهم للتاريخ

الفنيقي في غربي البحر الابيض المتوسط تحيزهم لشعوبهم ضد الوجود السامي في المنطقة ، وذلك نظراً للتنافس الاقتصادي والصراع السياسي الذي كانت تخوض غمارة شعوبهم ضد سكان منطقة المغرب. وهذا بدوره يجعلنا ندرك جيداً بأن كتابتهم لا تخلو من المبالغة ، وتحقير سكان المنطقة ثم وصفهم بالوحوش أحياناً ، وبالقراصنة آخرى وقد ورد في احدى كتابات سالوت كان أوائل سكان افريقيا الجيتوليون والليبيون ، وهم أقوام خشنون وبرابرة ، يتغذون بلحوم الحيوانات المتوحشة ، أو بأعشاب السهول على نمط القطعان (54) .

4) عرف عن بعض المؤرخين الاغريق القدماء نقص في الدقة في الحكم استناداً الى ظواهر الاشياء ، وذلك يمكن أن يكون راجعا الى نقص الوسائل التقنية المساعدة التي أصبحت تعتمد عليها المدارس التاريخية الحديثة في استخلاص الحقائق التاريخية ، يضاف الى ذلك احتمال جهل أو قلة معرفة هؤلاء المؤرخين القدماء باللغات المحلية وفي طليعتها اللغة الفنيقية ، فهيرودت مثلا كان يجهل اللغة الارامية والاشورية ... الخ لذلك لا عجب أن جاءت بعض معلوماتهم مغلوطة أو ناقصة .

ومن بين المؤرخين القدماء الاجانب الذين تعرضوا في كتابتهم للنشاط الفنيقي الباكر في غربي البحر الابيض المتوسط نذكر المؤرخ الاغريقي تيمايوس (Timaeus) الذي عاش في صقلية حوالي القرن الثالث ق . م فتناول في كتابته تاريخ تأسيس قرطاجة فذكر بأنها سبقت مدينة كوماي الاغريقية بحوالي 60 سنة (55) . وعلى ذلك يكون تأسيس مدينة قرطاجة حوالي سنة 810 ق . م وقد امتازت كتابة تيمايوس بخلوها من الطابع الاسطوري الذي سيطر على كتابات بعض المؤرخين الاغريق الآخرين الذين تناولوا تاريخ تأسيس قادس وأوتيكا ، ووصفوه في القرن الثاني عشر ق . م . والجدير بالذكر أن مؤلفات تيمايوس لم تصل الينا مباشرة بل استشهد بها عدد من المؤرخين التاليين الذين سلمت كتابتهم من الضياع .

وهناك بعض المؤرخين الاغريق استقلوا في الرأي عن تيمايوس فأرخوا وصول التجار الفنيقيين الى غربي البحر الابيض المتوسط بالسنوات التالية لحرب طروادة ، وأعطوا بذلك تواريخ معينة لتأسيس مدينة قادس عام 1110 ق . م وكذلك أوتيكا سنة 1101 ق . م غير أنه يمكن أن يكون هناك مصدر أكثر أهمية من ذلك الذي جاء به تيمايوس ، ويتمثل هذا المصدر فيما كتبه المؤرخ اليهودي يوسيفوس (Josephus) الذي كتب خلال القرن الاول ميلادي مقتبساً عن ميناندروس (Menandros) الافيسوسي الذي قيل عنه بأنه استعمل في كتابته التاريخية وثائق فنيقية (56) . وقد ورد في أحدى هذه الاستشهادات قائمة مرتبة بأسماء ملوك صور الذين حكموا خلال القرنين العاشر والتاسع ق . م ثم يرجع يوسيفوس تأسيس مدينة قرطاجة من طرف اليسا الى حوالي السنة السابعة من حكم بغماليون لمدينة صور .

واعتماداً على التقويم الزمني الذي أورده ميناندروس ، وما أشرنا اليه سابقاً من كلام تيمايوس فإن حكم بيغماليون لمدينة صور كان في أواخر القرن التاسع ق . م وبذلك فان روايته تتفق مع تلك التي ذكرها تيمايوس فيما يخص تأسيس مدينة قرطاجة . وكان يمكن أن تكون كتابة ميناندروس من أهم المصادر التاريخية القديمة في هذا الموضوع لو أننا عرفنا مؤلفاته أو حتى زمن ظهورها (57) . وفيما يخص تأسيس قرطاجة فان التاريخ المتعارف عليه حالياً بين مؤرخي العالم هو 814 ق . م على اعتبار أن تاريخ تأسيسها قد سبق الالعاب الاولمبية الاولى بحوالي 38 سنة أي في 814 ق . م

أما عن تاريخ تأسيس المستوطنات الاخرى الباكرة في غرب البحر المتوسط : مثل قادس ، وليكسوس ، وأوتيكا فليس ثمة ما يشير الى ذلك بالتأكيد . وانما يعتقد بأنها أسست عقب نهاية الحروب الطروادية بسنوات قليلة (58) .

وكانت قادس هي أولى المستوطنات ثم تبعتها ليكسوس وأوتيكا .

وهنا يمكن أن نتساءل عن الاسباب التي جعلت الفنيقيين يسبقون بتأسيس مدينة قادس في الطرف الجنوبي من اسبانيا قبل غيرها من مستوطنات سواحل بلاد المغرب التي تعتبر قريبة نسبياً الى فنيقيا الام ، وللاجابة عن هذا التساؤل ، يمكن أن نذكر بأن توفر خامات النحاس والفضة والقصدير في المناطق المجاورة لمدينة قادس، كان الهدف الرئيسي الذي قدم من أجله التجار الفنيقيون الى الحوض الغربي الابيض المتوسط ، ولذلك فلا غرابة أن تكون مستوطنة قادس هي أبكر المستوطنات الفنيقية في المنطقة ، وأن معظم المستوطنات والمحطات الفنيقية الاخرى التي تلتها في التأسيس على سواحل الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط على الطريق الرابطة بين قادس وفنيقيا الام كان الهدف منها في أول الامر تزويد السفن والبحارة الفنيقيين بالماء والمؤن ، ثم الاتصال بأهالي المنطقة بقصد تأمين فتح أسواق تجارية جديدة لبيع بضائعهم المصنعة لتلك الشعوب التي كانت متخلفة حضارياً ، وبالاعتماد على نظرية البوميرانغ (Boomerang) فان التجار الفنيقيين الذين انطلقوا من الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط بقصد المتاجرة مع سواحله الغربية ، والحصول على خامات المعادن لا بد أن تعود أرباحهم التجارية الى مدنهم التي انطلقوا منها لأول مرة (59) .

غير أن هذا الهدف تغير فيما بعد عندما ازدهرت مستوطنة قرطاجة وأصبحت لها تدريجياً الزعامة السياسية على معظم المستوطنات الفنيقية في غربي البحر تلابيض المتوسط ولنا أمثلة في التاريخ مشابهة لتأسيس مدينة قادس قبل غيرها من المستوطنات القريبة من فنيقيا . وعلى سبيل المثال نذكر سبق تأسيس مستعمرة كوما الاغريقية بسواحل ايطاليا الغربية للمستعمرات الاغريقية الام (60) . وكذلك تأسيس مستعمرات الهند البريطانية قبل غيرها من المستعمرات البريطانية الاخرى في جنوب شبه الجزيرة العربية وسواحل افريقيا وجبل طارق التي كان يقصد من ورائها

حماية طرق الملاحة البحرية وفتح أسواق جديدة ، ثم السيطرة على المواقع الاستراتيجية .

وعلى ذلك يمكن أن نقول أن سبق مستوطنة قادس في التأسيس كان مقصوداً لانها كانت هدفاً في حد ذاتها خاصة إذا ما علمنا مدى احتياج دول شرقي المتوسط لخامات المعادن في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الانسانية التي يمكن الى حد ما أن نقارنها ببداية عصر النهضة الاوربية والكشوفات الجغرافية في مستهل العصور الحديثة .

ب ــ المصادر المادية

تتمثل المصادرالمادية للتاريخ الفنيقي في غربي البحر الابيض المتوسط في البقايا الاثرية التي تركها هؤلاء الاقوام في المواقع التي حلوا بها . وقد ترجم الكثير من هذة المصادر المادية التي عثر عليها المنقبون الاثريون في المقابر ، والمعابد ، ومخلفات المنازل الى تقارير علمية مرفقة بصور ، وخرائط ، وجداول تقويمية لكل الاشياء التي عثروا عليها وقد لوحظ بأن الفخار يشكل جزءاً كبيراً من هذه البقايا الاثرية الفنيقية . ولا زال التنقيب الاثري في بلاد المغرب لم يجد بعد الاهتمام المتقدم ، ولذلك لا نستطيع أن نحكم على ما ورد في هذه التقارير العلمية أو نعتبرها حقيقة مسلما بها ما دمنا نعرف بأنها ليست الاخيرة ، وبأن قيمتها التاريخية ستتغير لمجرد الحصول على نتائج أثرية مغايرة لها (61) .
ويمكن أن نذكر باختصار بأنه ليست هناك شواهد أثرية فنيقية أكتشفت حتى الآن في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط تشير الى الوجود الفنيقي قبل عام 750 ق . م فيما عدا كتابة حجر نورا (Nora) التي عثر عليها في جزيرة سردينا ، التي نسب العالم البرايت (Albright) تاريخها الى القرن التاسع قبل الميلاد . وبذلك فانها ستكون معاصرة لمدينة قرطاجة (62) .

أما أقدم البقايا الاثرية في بلاد المغرب فانها تتمثل فيما عثر عليه المنقب الاثري الفرنسي سينتاس (P. Cintas) أخيراً في معبد الآلهة تانيت بصلامبو (Salambo) في موقع مدينة قرطاجة القديمة والذي يتضمن أجاجين (Urns) فخارية كانت تحوي عظام أطفال صغار قدموا قرابين بشرية لهذه الآلهة . وبمرور الزمن وازدياد بقايا الجثث المضحى بها ، فان المعبد أصبح يتكون من ثلاث طبقات متراكمة فوق بعضها تختلف بقايا كل طبقة منها عن التي تليها ، وأصبحت هذه الطبقات تعرف بتانيت الاولى والثانية والثالثة (63) . وبمقارنة الادوات الأثرية الفخارية التي عثر عليها في الطبقات الثلاثة مع تلك المماثلة لها في كل من فنيقيا الام وبلاد الاغريق ، ومصر أعطت تواريخ تقريبية لهذه الطبقات الثلاثة (64) . ويعتبر ما عثر عليه من فخار في طبقة تانيت الاولى من أهم وأقدم المصادر المادية لانها تحتوي على بقايا فخار مستورد اغريقي الاصل ، وتمائم وأختام مصرية يعتقدسينتاس بأنها معاصرة أوقريبة من بداية الوجود الفنيقي في مدينة قرطاجة (65) .

وتتلخص قيمة اللقى والمستوردات الاجنبية التي عثرعليها في مواقع المغرب في أنها تساعد الباحث في تثبيت وتحديد التاريخ المغربي ، وخاصة لالقاء الاضواء على مشاكل بدايات الاستيطان الفنيقي . وحيثما نفتقر الى هذه العناصر المساعدة يسود الظلام من جديد وقد عثر أيضاً سينتاس في كل من قرطاجة وأوتيكا على نوعين من القبور تعود بقاياها الفخارية الى القرن السابع ق . م وقد لاحظ بأن هذا الفخار كانت تسيطر عليه بعض اللمسات المحلية مما يدل على تأثر الفنيقيين بالوسط المحلي وبدء استقلالهم الصناعي عن فنيقيا الام (66) .

وخلاصة القول يمكن أن نقول بأن هناك عدم تطابق بين المصادر الكتابية والمادية في اثبات بـــدء النشاط الفنيقي في غربي البحر الابيض

وأن المصادر المادية لا زالت لم يتم تحريها بعد الى درجة تسمح بالقطع في انعدام مساهمتها . وهي الان عاجزة عن تغطية فترة لا تقل عن ثلاثة قرون ممتدة ما بين القرن الثاني عشر ق . م والقرن التاسع ق . م كانت المصادر الكتابية قد اعتمدتها كبداية لتأسيس المستوطنات الفنيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

الفصل الرابع

المستوطنات الفنيقية

أ ـ المستوطنات في شمال الحوض الغربي للمتوسط .

ـ شبه جزيرة ايبريا ـ جزر الباليار ـ سردينيا ـ صقلية .

ب ـ المستوطنات في المغرب القديم (1).

1 ـ المستوطنات الباكرة :

ـ ليكسوس ـ أوتيكا .

2 ـ المحطات التجارية :

ـ شرقي قرطاجة ـ غربي قرطاجة .

المستوطنات الفنيقية

بعد الإشارة إلى مرحلتي الارتياد والاستيطان الباكرتين ، وشرح العوامل الاقتصادية والسياسية التي دفعت الفنيقيين إلى الهجرة والاستيطان في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، يجدر بنا في هذا الفصل أن نخصص الكلام حول المستوطنات الفنيقية الهامة في تلك المنطقة بجزئيها الشمالي والجنوبي . وسنتجنب اتباع التسلسل الزمني في هذا العرض وذلك لعدم توفر معلومات وافية ودقيقة حول تاريخ نشوء المستوطنات الفنيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط ، وغموض علاقة هذه المستوطنات بعضها ببعض .

أ — المستوطنات في شمال الحوض الغربي للمتوسط

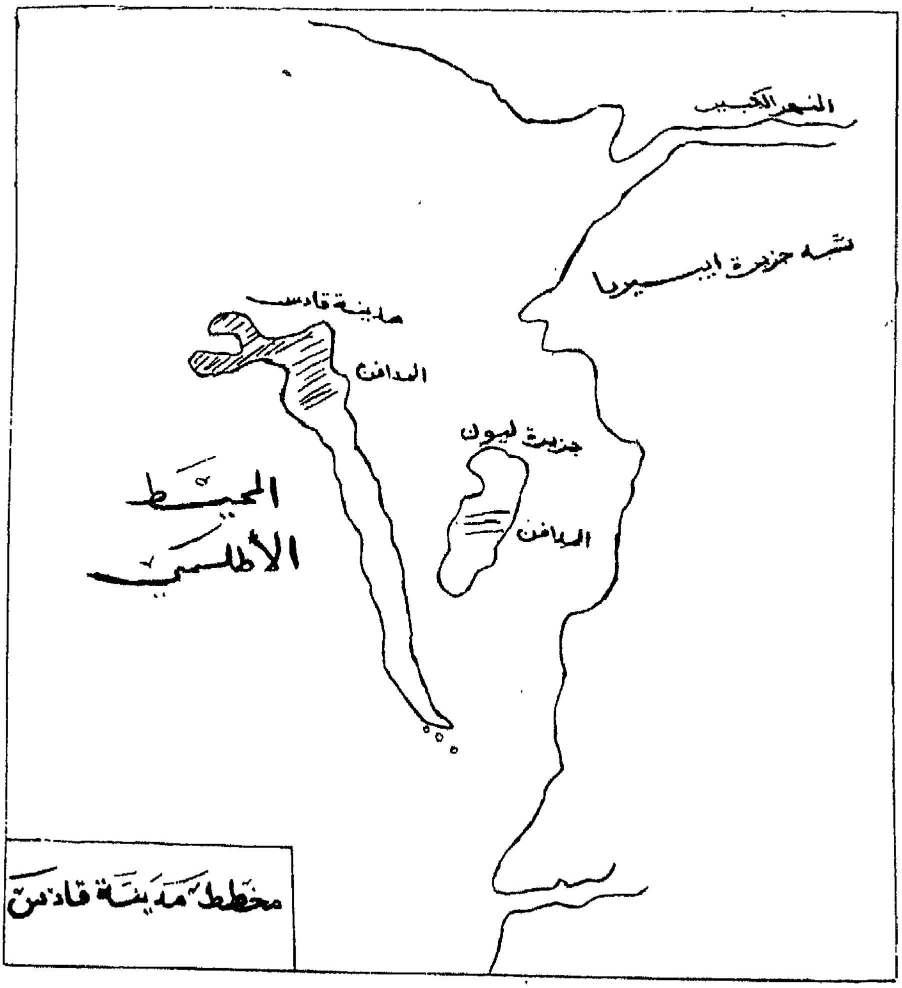
شبه جزيرة ابيريا :

تعد مستوطنة قادس في شبه جزيرة إيبريا من بين المستوطنات الفنيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . وقد أسسها التجار الفنيقيون لأغراض اقتصادية والحصول على خامات المعـــادن كالفضة والقصدير ، والنحاس واستبدالها بالمواد المصنعة التي كانوا يجلبونها من شرقي البحر الأبيض المتوسط . هذه العملية التجارية قدم المؤرخ ديودور الصقلي صورة عنها وعن ثروات اسبانيا من المواد الخام : « تحتوي منطقة إيبريا على كميات وافرة من مناجم الفضة التي كان السكان المحليون يجهلون استعمالها ، ولكن التجار الفنيقيين الذين حلوا بالمنطقة كانوا يحصلون

عليها مقابل كميات البضائع القليلة التي كانوا يجلبونها معهم من بلاد الاغريق وآسيا ، ومن بعض الشعوب الأخرى ، وقد حصل الفنيقيون من وراء ذلك على ثروة كبيرة ... كما أن ممارستهم لتجارة المعادن لمدة طويلة زادتهم قدرة وبالتالي سمحت لهم بتأسيس عدد من المستوطنات سواء في صقلية والجزر القريبة منها أو في ليبيا وكذلك إيبيريا » . (أنظر الشكل رقم 4 ، ص 80).

أما عن التاريخ الحقيقي لتأسيس مدينة قادس فان المصادر الكتابية والمادية لا تتفق على زمن التأسيس . فبينما تقف المصادر المادية عاجزة وفق الوضع الراهن للبحث الأثري عن إثبات وجود أي مستوطنة فنيقية في غربي المتوسط يسبق تأسيسها القرن الثامن ق. م. نرى أن المصادر الكتابية تحاول ارجاع تاريخ تأسيس مستوطنة قادس مثل غيرها من المستوطنات الفنيقية الباكرة إلى حوالي القرن الثاني عشر ق. م. من ذلك أن المؤرخ فيليوس باتركلوس (Veleius-Paterculus) يعيد تأسيس مدينتي قادس وأوتيكا إلى زمن عودة الهرقليين (Heaclides) إلى البيلوبونيز الذي يؤرخ له بحوالي 80 سنة بعد تهديم طروادة (3) . وقد بنيت قادس على جزيرة محاذية للساحل ، وهي في ذلك شبيهة بمدينة صور في شرقي البحر الأبيض المتوسط . كما أنها كانت أيضاً تتمتع بنظام الميناءين المعمول به لدى الفنيقيين ، وقد التحمت قادس مع اليابسة فيما بعد من جراء رسوبات النهر الكبير الذي يصب بالقرب منها (4) . (أنظر الشكل رقم 5).

ويحدد المؤرخ بومبينيوس ميلا (Pomponius Mela) الناحيةالطبوغرافية لمستوطنة قادس فيذكر « بأن جزيرة قادس كانت منفصلة عن اليابسة بذراع بحري صغير يشبه النهر ، وأن ضفتها المواجهة لمياه المحيط قد ارتفعت مكونة في وسطها انحناء ينتهي برأسين بنيت على أحدهما مدينة تحمل اسم نفس الجزيرة ، أما الرأس الثاني فقد وجد عليه معبد للاله


النهر الكبير
شبه جزيرة ايبيريا
مدينة قادس
المدافن
جزيرة ليون
المدافن
المحيط الأطلسي
مخطط مدينة قادس

الشكل رقم ـ 5

هرقل المصري » (5).

وقد زالت معالم قادس الأثرية القديمة ولم يبق منها إلا بعض المقابر المنتشرة هنا وهناك في وسط شبه الجزيرة ، وعلى أطرافها ، وغالباً ماتعود هذه المقابر إلى القرنين السابع والسادس ق. م. وما بعدهما (6). ويعتقد كثير من المؤرخين بأن مدينة قادس كانت قد حلت محل مدينة ترشيش القديمة التي قيل عنها في للتوراة بأن سفن ترشيش كانت تحمل للملك سليمان كل ثلاث سنوات الذهب والفضة والعاج والقردة (7). ومن دراستنا للعلاقات الاقتصادية والسياسية التي كانت بين سليمان وحيرام ملك صور خلال القرن العاشر ق. م. ندرك بأن ترشيش المشار اليها كانت تحت إشراف البحارة الفنيقيين ، وأن المعادن التي ذكرت كان يؤتى بها من قادس التي حلت محل ترشيش منذ القرن الثاني عشر ق. م.

وقد أشار المؤرخ بلين (Pline) في كتابه التاريخ الطبيعي إلى هـــذا الموضوع بقوله « أن معنى قادس مكان حصين أو قلعة ، وأنها بنيت في مكان ترشيش القديمة ... ثم يضيف بأن ملك ترشيش أرجانثونيوس (Arganthonios) كان قد سكن مدينة قادس » (8). ونفس الشيء تشير اليه الكتابات التاريخية الحديثة حيث تذكر بأن اسم قادس سامي ، وأنها مأخوذة من كلمة قادر (Gadir) التي تدل على القوة والمناعة (9).

إلى جانب قادس كانت هناك بعض المدن الفنيقية الأخرى موزعة في جنوب شبه جزيرة إيبيريا نذكر منها: مالقا (Malga) التي كانت مخصصة لتجفيف الأسماك وتمليحها وقد قيل بأن اسمها هي الأخرى سامي ، وهناك أبديرا (Abdera) ، وسيكسي (Sexi) وقد أسس القائد القرطاجي صدر بعل سنة 227 ق. م. مدينة قرطاجة في اسبانيا ، ثم أطلق الرومان عليها فيما بعد اسم قرطاجة الجديدة (Cartago-Nova) حتى يفرق في الاسم بينها وبين قرطاجة في بلاد المغرب ، وكان القائد سيبيون الذي سيعرف فيما بعد بسيبيون الافريقي قد استولى على قرطاجة الجديدة في اسبانيا سنة

209 ق.م. ويعتبر استيلاوه هذا إيذاناً بزوال النفوذ القرطاجي في شبه جزيرة إيبيريا.

وفي اعتقادنا فان الخامات المعدنية والموقع الاستراتيجي هما اللذان جعلا منطقةشبه جزيرة إيبريا محط أنظار كل من الفنيقيين والإغريق ، والرومان . وأن الصراع القرطاجي الروماني لم يكن صراعاً سياسياً بقدر ما كان ذا طابع اقتصادي .

جزر الباليار : من المحتمل أن يكون التجار الفنيقيون قد نزلوا بجزر الباليار خلال رحلاتهم الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . ولكن استيطاهم الحقيقي بجزيرة ايبيزا (Ibiza) يعود إلى حوالي سنة 654 ق. م. أو كما يحدده بعض المؤرخين بحوالي 160 سنة بعد تأسيس مدينة قرطاجة في بلاد المغرب (10). وكان الفنيقيون الذين أسسوا مستوطنة إيبيزا قدموا من مدينة قرطاجة التي آلت لها زعامة المستوطنات الفنيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة . ومن المرجح أن الهدف من تأسيس مستوطنة إيبيزا في جنوب الباليار كان عسكرياً بالدرجة الأولى . إذ أنها كانت تمثل قاعدة بحرية هامة للاسطول الفنيقي الذي كان ينطلق منها إلى الشواطىء النوميدية جنوباً والايبرية غرباً .

ومن جهة أخرى كانت إيبيزا تقع على الطريق الرابطة بين المستوطنات الفنيقية في شبه جزيرة إيبريا وجزيرة سردينيا (11). وقد عثر في جزيرة إيبيزا على أحواض قديمة أثرية يحتمل بأنها كانت مخصصة لتجفيف الأسماك والحصول على صباغة الارجوان . وبالقرب من الأحواض المشار اليها عثر أيضاً على معبد للالهة تانيت يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث ق.م. (12) ولم يستول الفنيقيون على كافة جزر الباليار بل احتفظوا لأنفسهم بمراكز تجارية و حربية في إيبيزا كما ذكرنا ثم عاشوا مع السكان المحليين الذين هم من أصل ايبيري . وتشير بعض الكتابات التاريخية إلى أن اسم مينورقة التي

هي إحدى جزر البااليار من أصل سامي ، وهو تحريف القائد القرطاجي ماغون (Magon) (13).

وعلى ذلك يمكن أن نقول بأن هدف الفنيقيين من وراء الاستيطان في إيبيزا بالاضافة إلى الجانب الاقتصادي كان استراتيجياً خاصةعندما أحسوا برغبة التوسع التجاري تحدو المدن الاغريقية جنوب صقلية ، للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية في شبهجزيرة إيبريا التي كانت تمثل مصدراً لخامات المعادن الثمينة .

سردينيا : ثبت من الدراسات الأثرية التي أجريت في جزيرة ساردينيا بأن المستوطنات الفنيقية في هذه الجزيرة كانت قد انتشرت في الركن الجنوبي منها.وكانت أهم مدنها الفنيقية نورا (Nora) التي بنيت على شبه جزيرة ، وتتمتع بأهم ميناء في الجزيرة على الإطلاق وقد عثر المنقبون الأثريون في مدينة نورا على بقايا أثرية من بينها نصب تذكاري وجدت عليه كتابة فنيقية ثبت بعد فك رموز كتابتها بأنها تعود إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وهي بذلك معاصرة لبناء مدينة قرطاجة (14).
بالاضافة إلى نورا هناك مدن فنيقية أخرى موزعة على الأطراف الجنوبية الغربية لجزيرة ساردينيا نذكر منها على سبيل المثال : سولكيس (Sulkis) التي كانت تقع على طرف جزيرة سان أنتيوخو (San-Antiocho) الحالية ، وكذلك كاراليس (Caralis) التي عثر فيها على قبور تعود إلى القرن الخامس ق. م. 15).

أما مدينة ثاروس فان التنقيبات الأثرية لازالت متواصلة بها ، وهي مثل غيرها من المدن التي أشرنا اليها في جزيرة ساردينيا غنيه بالبقايا الأثرية الفنيقية (16).

ويرى بعض المؤرخين بأن نزول الفنيقيين في جزيرة ساردينيا يعود إلى حوالي نهاية الألف الثاني ق. م. وقد وقع ذلك عندما ارغمت زوابع

بحرية التجار الفنيقيين على النزول في شواطىء جزيرة ساردينيا الجنوبية الغربية (17). غير أن هذا الرأي الأخير لا يتفق مع ما توصلت اليه الاكتشافات الاثرية . وليس هناك في الكتابات التاريخية ما يشير إلى التواجد الفنيقي في جنوب ايطاليا . غير أن الفنيقيين كانوا قد ربطوا علاقاتهم التجارية مع شعوب ايطاليا ابتداء من القرن الثامن ق. م.

صقلية : كانت جزيرة صقلية في طليعة المواقع الاستراتيجية التي لفتت انتباه الشعوب الشرقية ، فتدفق اليها التجار الفنيقيون والإغريق في هجرات متتالية ، واستقروا على كامل سواحلها الشرقية والغربية ، ثم دفعوا بالسكان المحليين إلى المناطق الداخلية يفلحون الأراضي ويزرعونها.

وحسب توكيديدس (Thucydides) « فإن الفنيقيين كانوا قد احتلوا مراكز متقدمة في البحر حول كافة أرجاء جزيرة صقلية كذلك احتلوا الجزر الصغيرة الواقعة قرب الشواطىء لكي يمارسوا التجارة مع الصقل (Sekeles) (سكان جزيرة صقلية الأصليين) ولكن عندما جاء الاغريق عن طريق البحر بأعداد كبيرة تخلى الفنيقيون عن معظم هذه المواقع الشرقية وتجمعوا في غربي الجزيرة ، في كل من موتيا ، وسوليس ، وبانورموس قرب الاليميين (Elymes) لأن هؤلاء (الفنيقيين) تمسكوا بتحالفهم مع الاليميين من جهة ، ولأن المسافة من هناك إلى قرطاجة تكون أقصر مما هي عليه من الجزء الشرقي » (18). وهناك من المؤرخين من يعترض على رأي توكيديدس مستدلاً على ذلك بالتحديدات الجغرافية الحديثة للمواقع الأثرية الفنيقية والاغريقية التي عثر عليها في جزيرة صقلية ، والتي تقسم جزيرة صقلية إلى قسمين أساسيين :

أ) شرقي : ومعظم بقاياه الأثرية العائدة إلى الفترة الباكرة ذات طابع اغريقي .

ب) غربي : ومعظم بقاياه الأثرية يسود فيها الطابع الفنيقي (19).

ويعتقد هؤلاء المؤرخون بأن غرض الفنيقيين من الاستيطان في جزيرة صقلية كان استراتيجياً أكثر منه تجارياً . ولذلك ركزوا استيطانهم في الناحية الغربية من جزيرة صقلية التي تعزز جانب أوتيكا وقرطاجة في الطرف الآخر من بلاد المغرب وايطاليا .

وكذلك السيطرة على المضيق الذي يربط بين حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي (20). بينما كانت أهداف الاغريق في أول الأمر في صقلية وايطاليا تغلب عليها فكرة استغلال الأرض ، ولذلك نراهم يصطدمون بالسكان الأصليين ويغتصبون أراضيهم الصالحة للزراعة ويكونون منها مستعمرات إسكان زراعية مستقلة عن بلاد الاغريق الأم . وعلى العكس من ذلك كان الفنيقيون يسلكون سياسة التحالف مع السكان الأصليين على أساس المصالح المتبادلة .

ومن بين المدن الفنيقية الهامة في جزيرة صقلية مدينة موتيا (Motya) التي بنيت على جزيرة في خليج محمي يقابل رأس بونه في بلاد المغرب (21). وقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت على موقع موتيا حديثاً بأن الفنيقيين كانوا قد حلوا بها منذ القرن الثامن ق. م. وقد عاشوا في أول الأمر مع السكان المحليين من الصقل الذين وجدوهم . هناك كما تدل هذه البقايا الأثرية خاصة الفخارية منها على أن الفنيقيين الذين أسسوا موتيا لم يكونوا قد قدموا اليها من مدينة قرطاجة . بل يغلب على الظن بأنهم جاؤوا من شمال سوريا وذلك للتشابه بين فخار موتيا والفخار الذي اكتشف في مدينة الميناء القديمة (على مصب العاصي) التي سبق تأسيسها منتصف القرن الثامن ق. م. (22).

ولم تضعف مكانة موتيا إلا بعد الضربات التي تلقتها من الإغريق الذين قادهم الطاغية دونيسيوس في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد (23). وفي حوالي سنة 398 ق. م. اتخذ الفنيقيون ليليبايوم (Lilybaeum) عاصمة لهم بدلا من موتيا . وكانت ليليبايوم (مرسالا حالياً) واقعة على ساحل

صقلية الغربي القريب من جزيرة موتيا (24). كما أنها من جهة أخرى كانت تقع على الطريق الرابط بين صقلية وقرطاجة ولذلك نرى أن أن الغزاة الاغريق والرومان الذين أبحروا إلى بلاد المغرب كانوا قد سلكوا هذا الطريق .

وكانت بانورموس Panormus) هي الأخرى مدينة فنيقية هامة لأنها كانت تتحكم في خليج هام ، بالاضافة إلى الأراضي الزراعية الخصبة المحيطة بها . ولم يؤسس الفنيقيون مدينة سولكيس (Sulcis) إلا في حوالي القرن السادس قبل الميلاد ، وكان الغرض من تأسيسها الوقوف في وجه التوسع الاغريقي نحو غرب صقلية (25).

هذا وقد كانت المدن الفنيقية التي أشرنا اليها في صقلية أكثر تقدماً من مثيلاتها في بلاد المغرب . وذلك لكثرة احتكاك الفنيقيين في صقلية بكل من الاغريق والاتروسكيين الذين كانوا على غاية كبيرة من التقدم الحضاري ، من ذلك مثلا : أن المدن الفنيقية في صقلية كانت بدأت تمارس سك العملة منذ القرن السادس ق. م. بينما بقيت قرطاجة تتبع أسلوب المقايضة في عملياتها التجارية مع سكان بلاد المغرب حتى القرن الثالث ق. م.

ومهما يكن فان معلوماتنا عن أسبقية الوجود الفنيقي في جزيرة صقلية والعلاقات الباكرة بينهم وبين الاغريق لا زالت غامضة ، وما زالت المعلومات حتى الآن تعتمد بالدرجة الأولى على المصادر الكتابية الكلاسيكية ، وخاصة في الفترة الباكرة .

مالطة : أما بصدد جزيرة مالطة التي يحتمل أن يكون اسمها سامي بمعنى (ملط : أي هرب) ، فقد وجدت فيها قبور فنيقية يحتمل أن يعود تاريخها إلى القرنين التاسع والثامن ق. م. كما وجدت بها مقبرة بونية أيضاً يعود تاريخها إلى القرن الخامس ق. م. وما بعده (26). وحسب ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) فان سكان جزيرة مالطة كانوا من أصل

فنيقي (27). وقد اعتمد هذا المؤرخ في ابداء رأيه على بقاء اللغة البونية متداولة بين سكان الجزيرة في عهده .

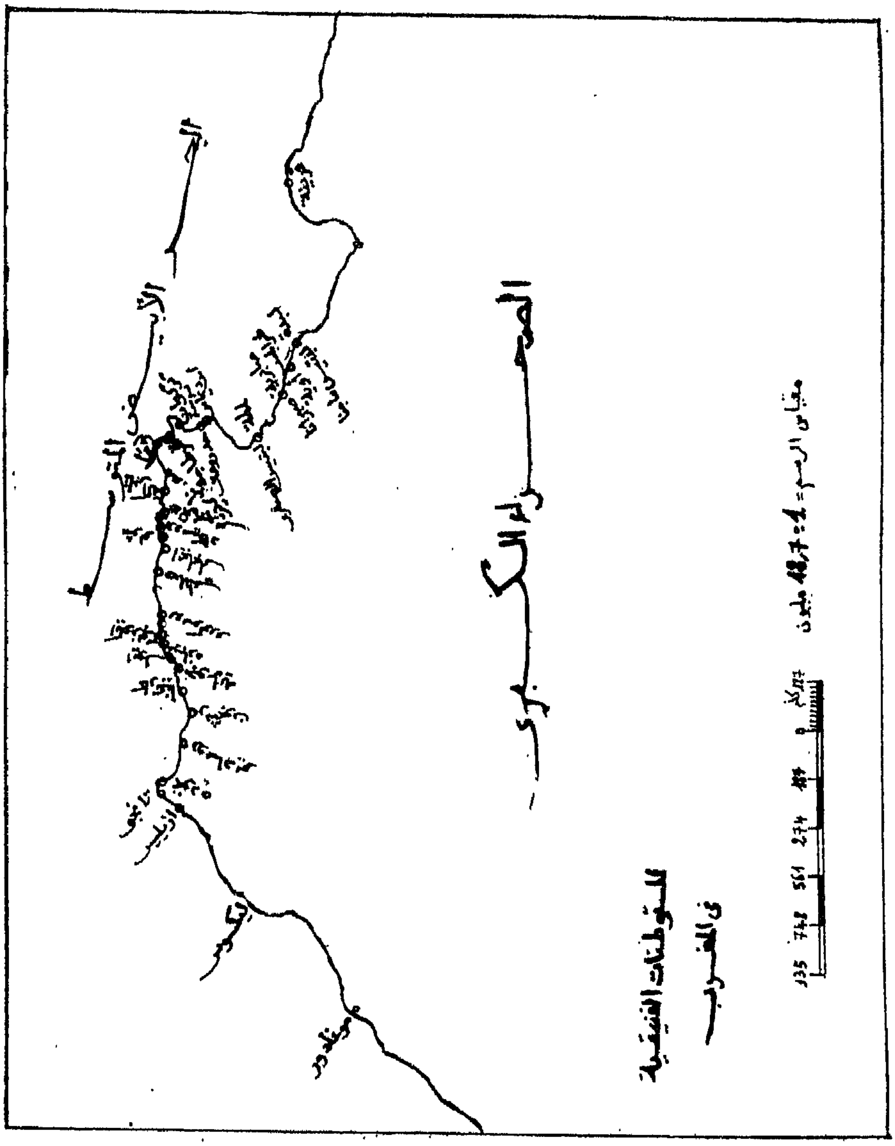
ب — المستوطنات في المغرب القديم

1 — المستوطنات الباكرة :

ليكسوس : كانت مدينة ليكسوس (Lixus) من أبرز المستوطنات الفنيقية القديمة التي أسست على سواحل المحيط الأطلسي . وتشير الكتابات التاريخية إلى أن تأسيس هذه المستوطنة يعود إلى نهاية القرن الثاني عشر ق. م. وقد تم تأسيسها على يد البحارة الفنيقيين الذين قدموا من شرقي المتوسط ، وهي بذلك معاصرة لمدينة قادس وسابقة لمدينة أوتيكا (28). وكان الغرض الذي أسست من أجله ليكسوس استراتيجياً وتجارياً ، ذلك لأنها كانت تعتبر مع قادس بمثابة المفاتيح على المحيط الأطلسي ،وقد استعان بها القرطاجيون خلال رحلة حنون إلى إفريقيا الاستوائية في القرن الخامس ق. م. فحصلوا منها على المترجمين الذين كانوا يساعدونهم في فهم لهجات سكان المناطق التي تقع إلى الجنوب منها . وقد أنشئت المدينة على الضفة اليمنى لنهر ليكوس (نهر درعا حالياً) (29). الذي يصب في المحيط الأطلسي مكوناً خليجاً صالحاً للملاحة .

ويقوم موقع المدينة حالياً على تل مرتفع يبعد حوالي ٤ كلم شمال مدينة العرائس وقد عرفت مدينة ليكسوس في الماضي باسم مدينة تشميش (Themich) أي مدينة الشمس (30).

ويذكر بليني بأن مستوطنة ليكسوس يجب أن تكون أبكر من قادس وأوتيكا . ويستدل على ذلك بأن معبد الإله هرقل (ملقارت) في ليكسوس أبكر من مماثله في قادس (31) . (أنظر الشكل رقم 6 ص 92).



الشكل رقم — 6 —

ومن جهة أخرى بدأت التنقيبات الأثرية في بقايا مدينة ليكسوس منذ حوالي سنة 1845 على يد البعثة الالمانية التي كان يقودها العالم الأثري بارث Barth واستطاع هذا العالم أن يحدد معالم المدينة القديمة . وفي سنة 1925 تولت التنقيب في نفس المكان المشار إليه ، بعثة اسبانية كان مركزها مدينة تطوان ، ولم تصل إلى نتيجة إلا بعد سنة 1948 عندما تولى الاشراف على التنقيب في مدينة ليكسوس العالم الأثري الاسباني تاراديل
الذي استعمل الطرق العلمية الحديثة في التنقيب ثم تعمق في الحفر حتى بلغ الأرض العذراء ، ونتج عن أعماله ظهور عدة طبقات متراكمة بقايا الطبقة السفلى منها تتضمن كسراً فخارية مغطاة بلون أحمر لامع مصقول مما يؤكد قيام محطة فنيقية دائمة يعود تاريخها إلى ما بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ، وهناك شبه بين فخار ليكسوس والفخار الذي عثر عليه في قبور مدينة قرطاجة (32). وقد وجد في الناحية الغربية من مدينة ليكسوس أحواض اصطناعية يعتقد بأنها كانت تستعمل لاستخراج الأملاح من مياه المحيط (33).

وعلى ضوء الدراسات المقارنة يمكن أن نقول بحق بأن مستوطنة ليكسوس كانت من أهم المستوطنات الفنيقية . وكانت علاقة ليكسوس بقادس أحسن بكثير من علاقتها بقرطاجة في بلاد المغرب ، ويمكن أن يكون ذلك راجعاً إلى قصر المسافة التي تربط بينهما ، وإلى طبيعتهما البحرية على المحيط الأطلسي (34).

أوتيكا : يذكر المؤرخ سترابون Strabn بأن التجار الفنيقيين الذين اجتازوا أعمدة هرقل كانوا قد أسسوا مدناً على شواطىء البحر الخارجي ، وأيضاً بالقرب من وسط الساحل الليبي بعد وقت قصير من نهاية حرب طروادة (35). ويشير في مكان آخر إلى أن الفنيقيين كانوا قد وضعوا يدهم على أفضل الأماكن في شبه جزيرة إيبريا وفي ليبيا قبل عصر هوميروس (36). (أنظر الشكل رقم 6، ص 92).

ندرك من هذين النصين القصيرين أن التجار الفنيقيين حلوا ببلاد المغرب منذ القرن الثاني عشر ق. م. وأن مستوطنة أوتيكا Utica هي الأخرى كانت قد أسست منذ هذه الفترة. خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار موقع أوتيكا في وسط سهول شمال تونس التي تعتبر من أجود الأراضي الصالحة للزراعة في المنطقة، وقد ورد أيضاً في بعض الكتابات التاريخية بأن تأسيس أوتيكا يسبق نشأة قرطاجة بحوالي 287 سنة. مما يجعلنا نستنتج استناداً إلى هذه المعلومات بأن تأسيس أوتيكا تم في حوالي عام 1101 ق م (37)

أما الغرض الذي أنشئت من أجله مستوطنة أوتيكا فقد كان اقتصادياً، ونظراً لموقعها في منتصف الطريق بين صور وقادس (أي ترشيش) فقد ساعدت في بادىء الأمر على ربط الصلات التجارية بين فنيقيا الأم ومستوطنة قادس التي اشتهرت بغناها المعدني علاوة على ذلك كانت أوتيكا تمثل محطة تجارية يلتقي فيها سكان المغرب بالتجار الفنيقيين لتأمين المصالح المتبادلة، وعندما كثر عدد التجار المهاجرين الذين استقروا في في أوتيكا انقلبت هذه المحطة إلى مستوطنة اسكان وقد فسر بعض المؤرخين هدف الفنيقيين من وراء الاستيطان في أوتيكا أنه كان بدافع الحصول على كميات القمح التي تنتجها سهول شمال تونس.

ويعلل هؤلاء المؤرخون تفسيرهم هذا بالاتفاقية الاقتصادية التي تمت بين أحيرام ملك صور، وسليمان الحكيم ملك العبرانيين خلال القرن العاشر ق. م. حيث تلقى فيها الصوريون كميات من الأغذية مقابل الأخشاب والخبرات الفنية التي قدموها للعبرانيين (38).

أما المصادر المادية فانها تشير إلى أن أوتيكا كانت قد أسست على مرتفع من الأرض بالقرب من مصب نهر مجردة الذي يغطي بطميه موقعها حالياً. وهي الآن بعيدة عن البحر بحوالي 10 كيلومترات. أما المسافة التي تفصلها عن مدينة قرطاجة فتقدر بحوالي 15 ميلاً (39). وقد عثر في أوتيكا على نوعين من القبور المبنية بالحجارة تعود بقايا أقدمها إلى القرن

الثامن ق. م. بينما لا تتجاوز بقايا المجموعة الثانية القرنين السابع والسادس ق. م. وما بعدهما (40). ومن بين الأشياء التي عثر عليها في حفر عميقة كانت تحت قبور أوتيكا بقايا فخارية بسيطة الصنع يغلب عليها الطابع المحلي ، مما أدى بالباحثين الأثريين إلى استنتاج قدمها عن تلك التي عثر عليها في قبور قرطاجة . وتتألف البقايا المادية المكتشفة في أوتيكا والتي عثر عليها في قبور يتراوح عهدها بين القرن الثامن والرابع ق.م. من أواني فخارية متعددة الألوان ، وخواتم وجعلانات ، وتمائم قدمت كهدايا نذرية (41).

وعلى أية حال فالنتيجة التي نستخلصها من دراستنا للبقايا المادية في مدينة أوتيكا تشير إلى أن هناك ثغرة بين معطيات المصادر المادية ،ومعطيات المصادر الكتابية ، وهذه الثغرة لا زالت تنتظر الاستكمال حتى يتم الاتفاق حول تأسيس هذه المدينة ، ولعل نتائج الأبحاث الأثرية المتواصلة في كل من أوتيكا وقرطاجة ستغطي هذه الفترة في المستقبل .

أما علاقة أوتيكا بقرطاجة فقد كانت على ما يبدو في أول الأمر علاقة ود ووئام . وكان لكل مدينة منهما كيانها الخاص . ويمكننا أن نستنتج ذلك من المعاهدة الأولى التي عقدتها قرطاجة مع روما حوالي سنة 508ق.م .حيث أن اسم أوتيكا لم يشر اليه ضمن هذه المعاهدة بينما المعاهدة الثانية التي أبرمت سنة 348 ق. م. بين نفس الدولتين المشار اليهما تضمنت اسم أوتيكا إلى جانب قرطاجة . وأيضاً ذكر اسم أوتيكا في المعاهدة التي عقدها هنيبعل باسم قرطاجة عندما كان في إيطاليا سنة 215 ق. م. مع فيليب الخامس ملك مقدونيا .

والاشارة إلى اسم أوتيكا بجانب قرطاجة خلال المعاهدتين الأخيرتين يجعلنا نعتقد بأن أوتيكا كانت مرتبطة بقرطاجة(42). وقد حاولت أوتيكا أن تستغل ضعف قرطاجة خلال ثورة الجنود المرتزقة سنة 240 ق. م. وتخرج من صفها ، إلا أن هملكار برقة (Hamilcar-Barca) الذي تسلم

مقاليد الأمور للقضاء على هذه الثورة استطاع أن يسترد أوتيكا إلى صف قرطاجة بعد القضاء على ثورة الجنود المرتزقة عام 237 ق. م. وقد بقي التنافس الداخلي سائداً بين قرطاجة وأوتيكا حتى أتيحت الفرصة من جديد لهذه الأخيرة للانفصال عن جارتها قرطاجة خلال الحرب البونية الثالثة 149 — 146 ق. م. عندما أحست برجحان الكفة لصالح الرومان.

انضمت أوتيكا إلى الرومان وفتحت أبوابها للجيش الروماني بقيادة سيبيون أمليان الذي عسكر فيها ، وطلب من قرطاجة أن تنقاد لشروطه حتى تبرهن عن نواياها السلمية (43). وبعد تدمير قرطاجة أصبحت أوتيكا المركز الإداري والسياسي لإفريقيا الرومانية كاعتراف لها بالجميل من طرف مجلس الشيوخ الروماني . كما نالت حق حرية الملاحة مثل بقية المحطات الفنيقية الأخرى التي تخلت عن مساعدة قرطاجة أثناء حربها الأخيرة لروما (44).

2 — المحطات التجارية :

لكي تكون دراستنا ملمة لطبيعة التوسع الفنيقي في بلاد المغرب القديم وبناء المستوطنات الدائمة ،لا بد أن نوجه عنايتنا بالمثل إلى محطات الإستراحة وأسواق التجارة التي كان لها دور فعال في تقوية العلاقات الإقتصادية والاجتماعية سواء بين الفنيقيين فيما بينهم ، أو بين هؤلاء والسكان المحليين. وقد كانت محطات الاستراحة وأسواق التجارة الفنيقية موزعة باحكام على كامل سواحل بلاد المغرب . وتشير الكتابات التاريخية إلى أن عدد هذه المحطات التجارية كان قد بلغ حوالي 300 محطة تجارية ، وحسب سترابون الذي يذكر بالاستناد إلى ايراتوستين (Eratos Thene) أقام الفنيقيون حوالي 300 محطة في البحر الخارجي (45).

ولكي نتجنب الالتباس فاننا لن ندرس هذه المحطات التجارية ككل

بل سنصنفها إلى فئتين ، متخذين في ذلك مدينة قرطاجة مركزاً فاصلاً : وعلى ذلك يكون لدينا المحطات الواقعة شرقي قرطاجة ، يقابلها في الطرف الآخر المحطات المنتشرة في الجهة الغربية منها .

شرقي قرطاجة :

شملت المحطات التجارية الفنيقية كامل سواحل بلاد المغرب الشرقية ابتداء من الحدود الشرقية لخليج السرت حيث كانت توجد مستعمرة قرينة (Cyranica) الإغريقية وإلى مدينة قرطاجة غرباً

وبالاستناد إلى المؤرخ سالوست (Salust) «كان بعض الفنيقيين قد هاجروا إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بدافع تقليل الضغط السكاني في منطقة الساحل الفنيقي ، والبعض الآخر كانت له رغبة السيطرة والتوسع . أما الفئة الثالثة فكان همها الوحيد هو الربح التجاري والحصول على المواد الخام . ومن أجل ذلك كله أسسوا على شواطىء البحر كلا من هيبون (Hippo) ،وسوسة (Hadrumet) ولبدة (Liptis) ومدناً أخرى. وقد نمت هذه المستوطنات بسرعة حتى بلغت قمة الازدهار مما جعلها تستمر في دفع المساعدات الرمزية للمدينة الأم» (46). غير أن هذا النص يسوده بعض الغموض خاصة في ذكر أسماء مدينتي لبدة (Liptis-Magna) وهيبون (Hippo-Rilsius) وذلك لوجود مدينتين أخريين تتفقان معهما في الاسم هما مدينتا لمطة (Liptis-Minor) وبنزرت (Hippo-Zarit) كذلك نجد هذا النص خالياً من أي تحديد زمني . (أنظر الشكل رقم 6، ص 92).

وبالمقارنة مع نتائج الأبحاث الأثرية التي أجريت على أطلال هـــذه المحطات القديمة والتي يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن السادس ق. م. فانه يحتمل بأن الفنيقيين كانوا قد حلوا بالمنطقة منذ ارتيادهم الباكر ، ولكنهم

لم يستقروا فيها أو تكون لهم محطات ثابتة إلا في بداية العهد القرطاجي عندما أحسوا بخطر التوسع الاغريقي المتمركز في قرينة بليبيا والزاحف نحو الغرب (47). وكانت أهم المحطات القرطاجية في خليج السرت هي : مدينة لبدة التي كانت بمثابة المركز الدفاعي والإداري لمحطات خليج السرت القريبة منها ، وتدل البقايا الأثرية التي اكتشفت في لبدة على أنها تابعت ازدهارها حتى العهد الروماني وكانت لبدة تدفع الضرائب إلى مدينة قرطاجة كبقية المحطات الأخرى القريبة منها ، وتشير الكتابات التاريخية إلى أن قرطاجة كانت خلال القرن الثاني ق. م. قد رفعت ضرائبها على المحطات التجارية الواقعة شرقها بما فيها لبدة إلى حوالي وزنتين (Talents) في اليوم (48).

أما بالنسبة لمحطتي طرابلس (Oea) وصبراتة (Sabratha) فقد كانتا من بين المراكز التي تمثل بحق النشاط التجاري القرطاجي ، بحيث كانت تلتقي عند هاتين المدينتين الطرق التجارية التي تشق الصحراء الكبرى وتربط البحر الأبيض المتوسط ببلاد السودان ، وأعالي نهر النيجر . وقد ورد بأن أحد القرطاجيين واسمه ماغون (Magon) كان قد قطع هذا الطريق الصحراوي ثلاث مرات دون أن يتزود بالماء . مما يدل على أن جفاف الصحراء كان مغايراً لما هو عليه الآن ، بل كانت تتخللها ينابيع مياه عبر هذا الطريق الصحراوي (49). ومنذ القرن الخامس ق. م.بدأ القرطاجيون يتصلون مباشرة بمصادر المواد الخام في إفريقيا الاستوائية التي كانـــوا يتاجرون بها مثل تبر الذهب ، والحجارة الكريمة والعاج ، والعبيد وجلود الحيوانات المفترسة ، بينما كان الفنيقيون قبل ذلك يعتمدون على الوسطاء من قبائل الغرامانت الذين كانوا منتشرين في الصحراء (50). وتشير البقايا المادية التي عثر عليها في مدينة صبراتة سنة 1951 إلى أن هذه المدينة كانت قد ازدادت أهميتها منذ القرن الخامس ق. م. بحيث أن منازلها في هذه الفترة أصبحت تبنى بالاجر ،وأسس منازلها كانت من الحجارة المربعة (51)
وبالاضافة إلى ما تقدم ، هناك بعض المراكز التجارية الأخرى التي

تمتد على كامل الساحل فيما بين صبراتة وحدرومت، وهي أقل أهمية من ناحية التجارة الخارجية وتشمل هذه المراكز قابس (Thacapab) وأشولة (Acholla) التي أسسها فنيقيو مالطة وكذلك رأس الديماس (Thapsus) التي عثر فيها هي الأخرى على مدافن تعود إلى القرن الرابع ق.م. أما مدينة مهدية فإن بقايا قبورها الجنائزية تعود إلى القرن الخامس ق. م. وتشير الوثائق الكتابية من جهة أخرى بأن مدينة مالطة (Liptis-Minor) يمكن أن يعود تأسيسها إلى العهد الفنيقي الباكر (52). ويتضح من بقايا مدينة حدرومت (أي سوسة اليوم) الأثرية العائدة إلى القرن السادس ق. م. بأن هذه المدينة كانت تتمتع بميناء تجاري هام، كما كان يربطها بقرطاجة طريق بري داخلي تجوبه القوافل ، وورد اسم سوسة في نص سالوست الذي أشرنا اليه . وكانت هذه الأخيرة من المحطات التجارية الفنيقية الأولى التي أنشئت على سواحل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، ثم ازدادت أهميتها في العهدين القرطاجي والروماني . وكان هنيبعل عند عودته مع جيشه من حروبه في إيطاليا سنة 203 ق. م.

ـــ استجابة لنداء مجلس الشيوخ ، الذي كان قد دعاه للدفاع عن مدينة قرطاجة ـــ نزل بمدينة لمطة ثم اتجه منها إلى مدينة سوسة التي استعد فيها لمقابلة سيبيون الافريقي في معركة زاما (Zama) سنة 202 ق.م. (53).

وعلى طول المسافة الساحلية بين سوسة وقرطاجة أنشئت على التوالي: نابلس (Neapolis) وكيراكوان (Korkowane) في رأس بونة : وقد عثر في موقع هذه الأخيرة على جدران وأرضيات غرف يعود تاريخها إلى القرنين الرابع والثالث ق. م. ويحتمل بأنه كانت هناك محطات أخرى في منطقة رأس بونة اندثرت معالمها الأثرية بمرور الزمن ولم يبق منها إلا بعض الشواهد القليلة (54).

غربي قرطاجة :

تمتد هذه المحطات والمراكز التجارية هي الأخرى على بقية سواحل بلاد المغرب ابتداء من قرطاجة شرقاً حتى أعمدة هرقل غرباً (مضيق جبل طارق حالياً) ، ثم تنعطف بعد ذلك جنوباً على سواحل القارة الافريقية الشمالية الغربية حتى ليكسوس .

وتتتابع جنوباً مشكلة سلسلة المراكز التي أنشأها حنون حوالي نهاية القرن الخامس ق. م.

أما محطة بنزرت (Hippo-Zarit) الواقعة غرب أوتيكا ، فانها تعتبر أول محطات غربي قرطاجة ، وقد أسست بنزرت على شواطىء بحيرة صغيرة كان يربطها بالبحر خليج تعبره السفن إلى البحيرة المذكورة فتصبح في مأمن من اضطرابات أمواج البحر وهيجانه (55). ويستنتج من بقايا بنزرت القديمة بأن هذه المدينة عرفت ازدهاراً كبيراً خلال القرنين الخامس والرابع ق . م. وكانت عنابة (Hippo-Rigius) تمثل مركزاً إدارياً للجهات القريبة منها ، وازدادت أهميتها في العهد الروماني حيث كانت تمثل الحدود الفاصلة بين مقاطعتي افريقيا ونوميديا (56).

وعلى مسافة غير بعيدة من عنابه غرباً توجد سكيكدة (Rusicade) التي عثر فيها على بقايا أثرية تعود إلى القرن الثالث ق. م. وكانت لها صلات قوية بمدينة قسنطينة (سيرتا) الواقعة في الداخل (57). بينما تشير بقايا القبور العائدة إلى القرن الثالث ق.م. التي وجدت في جيجل (Igilgili) بأنه كان للقرطاجيين محطة تجارية تقع بالقرب من مدينة جيجل الحالية (58).

وقد حل التجار القرطاجيون أيضاً ببجاية (Rusuccur) ودلس (Saldae) دلت على ذلك البقايا الكتابية والنقود التي عثر عليها في عدة أماكن منتشرة على كامل الساحل الممتد ما بين بجاية ودلس خلال حفريات سنة 1914 (59). ومما لا شك فيه بأنه كان للقرطاجيين بخليج الجزائـــر

(Icosium) الذي كان محمياً من الرياح محطة تجارية هامة ، نستنتج ذلك من قطع النقود القرطاجية التي تعود إلى فترة متأخرة من الوجود القرطاجي في بلاد المغرب . وهناك أسطورة تعزو تأسيس (إيكوزيوم) إلى رفاق الإله هرقل الذي يحتمل أن يكون هو الإله ملقارت الذي عرف معبده في مدينه صور (60).

كما أن الكتابة التاريخية تشير من جهتها إلى أنه كان للجزائر مجلس قضاة قبل الاحتلال الروماني (61).

بالاضافة إلى ما ذكرنا كانت تيبازا (Tipaza) لواقعة إلى الشرق من شرشال تمثل محطة فنيقية تعود بقاياها المادية إلى حوالي القرن السادس ق.م. غير أنه يلاحظ بأن محطة تيبازا في العهد القرطاجي كانت لا تستعمل إلا لصيد الأسماك أو الالتقاء بالسكان المحليين للتبادل التجاري (62). وبالعكس من ذلك فان شرشال (Iol) كانت من المحطات الفنيقية الهامة التي عثر فيها على بقايا برونز ، وفخارية وجدت عليها كتابة فنيقية . كما أن اسمها الحقيقي (ايول) يعتقد بأنه أحد أسماء الآلهة الفنيقية .- وكانت شرشال تحتوي على ميناءين خصص أحدهما للتجارة ، والآخر للاسطول الحربي على الطريقة الفنيقية (63). وعلى مسافة 33 كلم إلى المغرب من شرشال أنشئت محطة جورايا (Gunugu) التي يستنتج من بقاياها الفخارية بأن القرطاجيين كانوا قد امتزجوا بالسكان المحليين ، وأن عادة دفن جثة الميت لدى سكان جورايا كانت تتم وفق الطريقة الشرقية التي كان يتبعها الفنيقيون ، مما يؤكد حقيقة هذا الامتزاج خاصة في فترة القرن الرابع ق. م. وما يليها (64).

وقد ورد اسم تنس (Cartennae) في قائمة أسماء المحطات والمراكز التجارية الفنيقية في بلاد المغرب ، إلا أن اسمها القديم (كارتينا) لم تعرف به إلا في العهد الروماني (56). ويظهر التأثير الفنيقي واضحاً في البقايا

المادية التي عثر عليها في كل من سيقا (Siga) ومليلة (Rusadur) العائدة إلى القرن الثاني ق. م. (66).

أما بالنسبة لتطوان (Tamuda)، وطنجا (Tingi) فقد كان الغرض من تأسيسها ضمان الاتصال بين المستوطنات الفنيقية في كل من شواطىء بلاد المغرب وجنوب غرب اسبانيا (قادس) (67).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان مضيق جبل طارق كان وما يزال يعتبر بمثابة بوابة للدخول إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ولذلك فهو يعد من الأماكن الاستراتيجية التي يجب التحكم فيها، لاسيما في فترة التوسع القرطاجي خلال القرنين السادس والخامس ق. م. اللذين أصبح الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فيهما بحيرة قرطاجية (68). (أنظر الشكل 6، ص 92).

وخلاصة القول، يمكن أن نلاحظ بأن اهتمام الفنيقيين وتركزهم في الساحل الشرقي من قرطاجة كان أكثر منه في الساحل الغربي منها، وهذا يمكن أن يكون راجعاً إلى طبيعة هذا الأخير الذي كان معرضاً للرياح الشمالية، وخالياً من الخلجان الصالحة للارساء بالاضافة إلى أنه كان صخرياً في معظمه. ولم يعتن القرطاجيون بهذا الساحل الغربي إلا بعد هزيمتهم في معركة هيمرا سنة 480 ق. م. أمام قوة المدن الإغريقية في صقلية. وقد اتجهوا بعد ذلك وجهة افريقية بغية تعويض ما فقدوه في صقلية.

أما إذا تساءلنا، لماذا لم ينفذ الفنيقيون إلى داخل بلاد المغرب، واكتفوا ببناء المستوطنات والمحطات التجارية على السواحل ؟

فاننا يمكن أن نعيد ذلك إلى عدة أسباب منها :

1) وجود سلسلة جبال الاطلسي الصعبة المسالك والتي تسير شبه

موازية للساحل كانت تمنعهم من النفوذ إلى الداخل فيما عدا بعض الممرات الضيقة التي كانت تتبع مسالك الوديان المتجهة نحو الداخل .

2) طبيعة الفنيقيين البحرية كانت تحتم عليهم التعامل مع سكان السواحل التي كانوا ينزلون بها في طريقهم إلى مناطق المعادن الثمينة في اسبانيا ، وافريقيا الاستوائية .

3) اعتماد الفنيقيين على علاقتهم الطيبة مع السكان المحليين في بلاد المغرب جعلتهم يحصلون على منتوجات المناطق الداخلية بدون عناء عن طريق هؤلاء السكان الذين كانوا يتعاملون معهم بواسطة المقايضة .

وعلى سبيل المقارنة نستطيع أن نلمس هنا مردود العلاقات السلمية المعتمدة على المصالح الاقتصادية والحضارية المتبادلة بين سكان المغرب والقادمين الجدد من الفنيقيين . بينما على العكس من ذلك كانت سياسة الرومان فيما بعد تعتمد على السيطرة وتهدف إلى تحويل المغرب القديم إلى مستعمرة تخدم الاقتصاد الروماني وحده وتشبع رغبة العسكرية الرومانية. ولذلك نجد أن الرومان كانوا قد نفذوا إلى المناطق الداخلية ، وبنوا مدناً وقلاعاً عسكرية لا زالت آثارها تشهد حتى وقتنا الحاضر وقد كانت بلاد المغرب في العهد الروماني تعرف بأهراء روما للقمح (Grniers de Rome)

الفَصْلُ الخامِسُ

مستوطنة قرطاجة

أ) تاريخ نشوء قرطاجة .

1 ـ الوثائق الكتابية .

2 ـ الناحية الطبوغرافية .

ب) النشاط الاقتصادي :

ـ التجارة ـ الصناعة ـ الزراعة .

مستوطنة قرطاجة

أ ــ تاريخ نشوء قرطاجة

1 ــ الوثائق الكتابية

تكاد المصادر الكتابية تتفق على اعتبار سنة 814 ق. م. تاريخاً رسمياً لتأسيس مدينة قرطاجة من طرف المهاجرين الفنيقيين ، على اعتبار أن تأسيسها كان قد سبق بداية الالعاب الاولمبية الأولى (776 ق. م.) بحوالي 38 سنة ، وتأخر عن بناء مدينة أوتيكا بمقدار 287 سنة(1).

وفي نصوص للمؤرخ اليهودي يوسيفوس (2)، ألفها بالاستناد إلى الكاتب الهللنستي ميناندروس الافيسوسي الذي استند على وثائق ملوك من مدينة صور ، سجل فيها تسلسل ملوك المدينة الذين حكموا لمدة قرن ونصف من الزمن، ثم أعطى معلومات إضافية حول بعض الأحداث التي جدت في عهودهم ، وقد أشار يوسيفوس إلى أن بغماليون كان قد عاش 56 سنة تولى الحكم خلالها لمدة 47 عاماً ، وفي السنة السابعة من حكمه فرت أخته أليسا إلى ليبيا (Libye) حيث أسست هناك مدينة قرطاجة (3) وبالاستناد إلى قائمة حكم ملوك مدينة صور نفسها يشير المؤرخ يوسيفوس إلى أن هذا الحدث (أي فرار اليسا) تم بعد مئة وخمسة وخمسين سنة وثمانية أشهر من استلام أحيرام حكم صور وكان هذا الأخير حليفاً للملكين داود وسليمان .

محتوى أسطورة اليسا وبناء مدينة قرطاجة

« تذكر الاسطورة بأنه بعد وفاة الملك متان بقي الحكم لابنيه أليسا وبغماليون . وكانت أليسا على غاية كبيرة من الجمال فتزوج بها خالها عاشر باس الكاهن الأكبر لمعبد الإله ملقارت الذي كان موفور الثروة وقد خشي عاشر باس على ثروته من اللصوص فدفنها تحت جدران المعبد وعندما بلغ نبأ الكنز المدفون بغماليون الذي كان هو الآخر شغوفاً بالمال اعتقد بأن الحيطة إنما اتخذت من أجله فقتل زوج أخته بغية الحصول على ماله . غير أن أليسا عرفت كيف تحتال على أخيها بتظاهرها أمامه بعدم الاكتراث بالحادثة التي كانت تقطع قلبها خفية ، وعندما آمنت شر أخيها حملت أموال زوجها وأبحرت بها صاحبة مؤيديها إلى قبرص حيث انضم اليها كاهن جونو بعد أن ضمن لنفسه ولاسرته من بعده الاشراف الديني في المدينة الجديدة . كما حملت اليسا معها من قبرص ثمانين فتاة من فتيات المعبد ليكن أزواجاً للشباب الذين كانوا معها . أبحرت بعد ذلك إلى بلاد المغرب فنزلت بالقرب من مدينة أوتيكا . وقد رحب بها سكان المنطقة من المغاربة الذين ابتاعت منهم قطعة أرض مقدار جلد ثور قطعت الجلد إلى أشرطة صغيرة أحاطت بمساحة تكفي لبناء مدينتها الجديدة (قرط حدشت) » (4).

ويستنتج من أسطورة بناء مدينة قرطاجة أن هناك اضطرابات سياسية داخل البيت المالك في مدينة صور نتج عنها انسحاب الحزب المهزوم إلى المناطق النائية ، ليبدأ حياة جديدة ، وقد امتازت قرطاجة بجودة موقعها الاستراتيجي حيث بنيت على شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة وببحيرتي تونس وأريانة من الجهتين الأخريين . أما من الخلف فانها محمية بمرتفع بيرصة (Byrsa) الذي بني في قمته معبد الإله أشمون (Eshmoun) (5). ولا تتصل قرطاجة باليابسة إلا عن طريق برزخ ضيق يبلغ طوله حوالي

أربعة كيلومترات ونصف . وقد وصف المؤرخ أبيان (Appian) مدينة قرطاجة بأنها تشبه السفينة الراسية (6). (أنظر الشكل رقم 7، ص108)

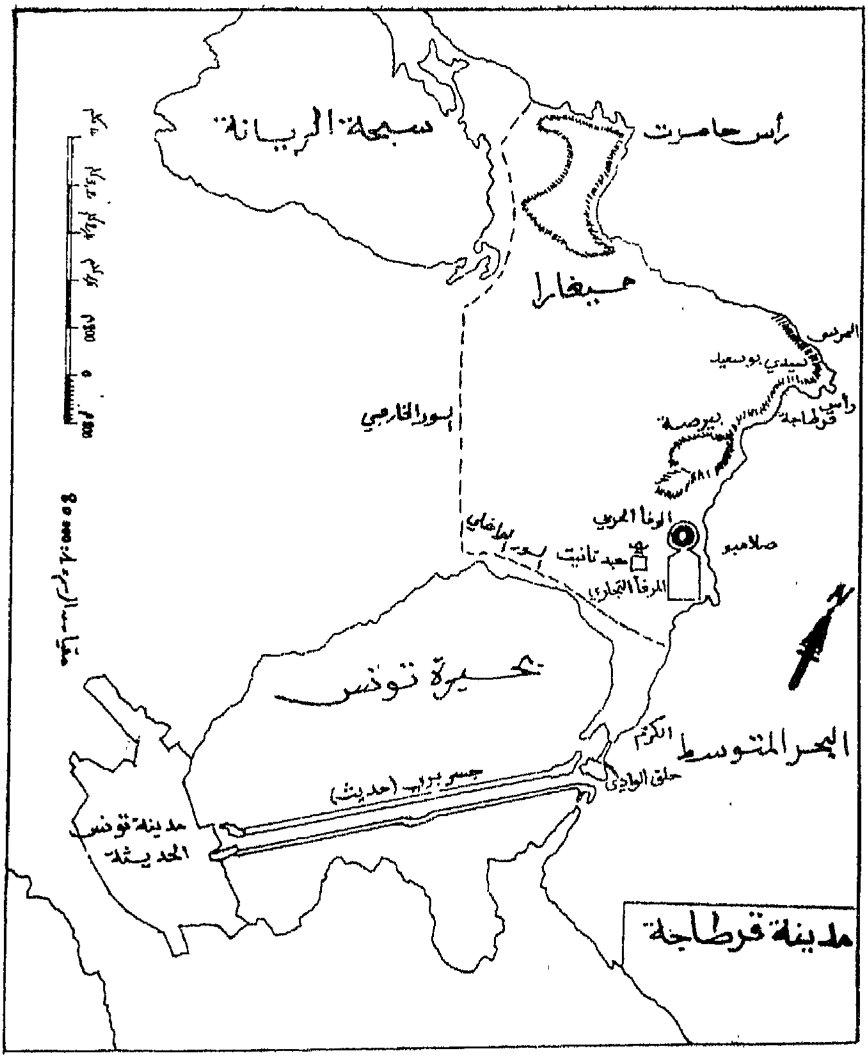
أما المؤرخ بوليبيوس (Polybius) الذي شاهد تهديم قرطاجة في القرن الثاني ق. م. فقد ذكر بأن قرطاجة تمتد على شاطىء خليج وسط شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة ، وبالبحيرة من الجهة الأخرى (بحيرة تونس) . ولايزيد عرض البرزخ الذي يربطها بليبيا عن 25ستادا (Stades) وعلى مسافة غير بعيدة من قرطاجة عبر الشاطىء ، كانت تقع أوتيكا ، بينما تقع تونس على الجانب الآخر من البحيرة (7).

2 ــ الناحية الطبوغرافية

تؤكد الكتابات الكلاسيكية بالاضافة الى نتائج الابحاث الاثرية ، أن مدينة قرطاجة كانت مقسمة الى أحياء سكنية متميزة حسب الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع القرطاجي ، وهي احياء صلامبو ، بيرصة ثم ميغارا (8) .

ويستنتج من بقايا الحفريات التي تواصلت منذ سنة 1944 في صلامبو بأن هذا الحي يعد من أقدم الجهات في مدينة قرطاجة ، وذلك بالاعتماد على بقايا قبور معبد الآلهة تانيت العائدة الى منتصف القرن الثامن ق . م (9).

أما حي بيرصة فقد كان محاطاً بسور قوي يتوسطه معبد الآلهأشمون . وفي الناحية الجنوبية من حي بيرصة توجد المقبرة العامة . وكان هناك ثلاثة شوارع تنحدر من نفس الحي لتربطه بالساحة العمومية وبالميناء المزدوج . وعلى أطراف هذه الشوارع ترتفع الابنية الشاهقة التي وصل ارتفاعها الى ست طوابق وفق الطراز المعماري الذي كان شائعاً في فنيقياالام وفي موتيا (Motya) . وقد كانت هذه الابنية مخصصة لسكنى الطبقة الشعبية التي تتكون من الصناع والتجار والحرفيين . وفي أسفل الحي المذكور توجد


سبخة الريانة
رأس قامرت
ميغارا
المرسى
سيدي بوسعيد
رأس قرطاجة
بيرصة
السور الخارجي
السور الداخلي
المرفأ الحربي
معبد تانيت
المرفأ التجاري
صلامبو
بحيرة تونس
البحر المتوسط
الكرم
حلق الوادي
جسر ترابي (حديث)
مدينة تونس الحديثة
مدينة قرطاجة

(الشكل رقم 7)

الساحة العمومية التي هي بمثابة الاقورا (Agora) في المدن الاغريقيه والفوروم (Forum) عند الرومان . وحول الساحة العمومية ، كانت توجد المباني الرسمية مثل مبنى مجلس الشيوخ ، والحكام ودار اليقافة (11).

ويعد الميناء المزدوج بقسميه التجاري والحربي من الاجزاء الهامة في مدينة قرطاجة. وتشير الكتابات التاريخية الى أن عرض مدخل ميناءقرطاجة كان يقدر بحوالي 23 متراً أو 70 قدماً يقفل بسلاسل حديدية (12) . وكان الدخول والخروج من ميناء قرطاجة في فصل الشتاء يصبح صعباً لذلك زود هذا المدخل برصيف يصعد فوقه البحارة ثم يجرون سفنهم بالحبال الى الداخل حتى تصبح في مأمن من تقلبات الطبيعة. أما في الفصول المعتدلة فقد كانت السفن التجارية ترسو في عرض خليج الكرم خارج الميناء

وقد كان ميناء قرطاجة من الداخل مقسماً الى قسمين تربط بينهما قناة يبلغ عرضها حوالي 23 متراً تنتقل فيها السفن من أحد الاجزاء الى الثاني . وعرف المرفأ الخارجي المستطيل الشكل الذي يبلغ طوله حوالي 456 مقراً وعرضه 325 متراً ، ثم قدر عرض رصيفه بحوالي4,53 متراً ، عرف بالمرفأ التجاري . وكان المرفأ الداخلي أو الحربي يسمى بالقاطون (Cothon) (13) . وهو مستدير الشكل يحيط به رصيف بلغ طول محيطه 1021 متراً وعرضه 35،9 متراً ، بنيت في الناحية الداخليةمنه حجرات تكفي مع حجرات رصيف الجزيرة الداخلية لايواء حوالي 220 سفينة . وقد خصصت الجزيرة الداخلية لسكنى امير البحر الذي كان يقوم بمراقبة الحركة على سطح مياه البحر القريبة منه ، ومن وراء رصيف المرفأ البحري يرتفع سور متين تتخلله أعمدة من المرمر تحجب الرؤيا من الخارج لما يجري داخله وهناك مدخل خاص يربط المرفأ الحربي بالساحة العمومية . (14)

وتعتبر الاسوار الدفاعية من أهم المنشآت في مدينة قرطاجة ، فهي

تحيط بالمدينة وتتقاطع عند البرزخ الضيق المشار اليه، لتترك فتحة للدخول أو الخروج من المدينة (15) وقد بلغ سمك السور الاول الموالي للمدينة تسعة أمتار ، وارتفاعه 13 متراً . بينما يقدر محيطه بحوالي 34 كيلومتراً تتخلله أبراج للمراقبة على بعد كل 60 متراً (16) .

ويشير المؤرخ أبيان (Appian) بأن ارتفاع كل سور من الاسوار الثلاثة يبلغ 13،32 م دون أن ندخل في الحساب علو الشرفات والابراج.ويقدر عرض كل جدار بحوالي 8،88 متراً . ويوجد في الجهة الداخلية من كل سور فراغ بني بشكل طابقين ، خصص أولها لايواء 300 فيل بزادها ومعاشها .

أما الطابق الثاني الذي يوصل اليه عن طريق ممر يصعد من الاول ، فقد وجد به اصطبل كان يتسع لحوالي 4000 حصان بما في ذلك مخازن للعلف والشعير بالاضافة الى ثكنات عسكرية تأوي حوالي 20 ألفاً من المشاة و4000 من الفرسان (17) . وأمام السور المذكور كان يوجد خندق كبير يبلغ عرضه حوالي 20 متراً ثبتت على أطرافه الخارجية أعمدة خشبية كانت تشكل سياجاً قوياً . وتشير نتائج الابحاث الاثرية التي قام بها عدة علماء اثريين في مدينة قرطاجة وضواحيها ، ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر ، بأن سور مدينة قرطاجة كان يحيط المدينة من جهة اليابسة وقد هدمه الجيش الروماني اثر تهديم مدينة قرطاجة سنة 146 ق . م ونقلت حجارته الكبيرة فاستعملت في بناء مدينة قرطاجة الرومانية فيما بعد . ولم يبق أي أثر يذكر لهذا السور فيما عدا الخندق الذي كان خارجه ، والذي اكتشف جزء منه الجنرال دوفال (R. Duval) في الحفريات التي قام بها سنة 1949 . وورد في تقرير نتائج حفريات الجنرال دوفال بأن الجهة الشرقية من الخندق ، كانت محاطة بشريط من الصخور المنحوتة تحتوي على حفر دائرية ما زال بعضها يحتوي بقايا جرار فخارية تتخذ كقاعدة لتثبت بها الاعمدة الخشبية التي تحيط بالخندق (18) ويعتقد بأن الاعمدة المذكورة تشكل الحصن الخارجي من

السور ، ويستطيع الناظر من الطائرة أن يشاهد بوضوح آثار الخندق بارزة لمسافة قصيرة حول موقع قرطاجة القديمة.

وكانت منازل حي ميغارة (Megara) الذي يسكنه أثرياء مدينة قرطاجة تدل على معاني الترف والغنى حيث كانت محاطة بالحدائق والبساتين . وتذكر الكتابات التاريخية بأن حي ميغارة كان خارج سور قرطاجة ، بينما المصادر المادية تشير من جهتها الى أن هذا الحي كان هو الآخر داخل نطاق السور المذكور (19) .

ومهما كانت طبيعة سور قرطاجة وتاريخ بنائه ، فقد كان يشكل بحق منشأة دفاعية هامة تحطمت على جدرانها كل محاولات الغزاة من القادة الاغريق والرومان الذين نقلوا الحرب الى بلاد المغرب بغية الاستيلاء على مدينة قرطاجة قبل القرن الثاني قبل الميلاد (20) .

ب ـ النشاط الاقتصادي

التجارة : كانت قرطاجة منذ نشأتها الاولى ، تمثل مستوطنة فنيقية هامة في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، حيث كونت مع جارتها أوتيكا ، والمستوطنات الفنيقية المقابلة لها في الطرف الجنوبي الغربي من صقلية مفاتيح الاتصال بين شرقي البحر الابيض المتوسط وغربه.

لقد أهل قرطاجة موقعها الاستراتيجي لأن تلعب دوراً هاماً في الميدانين الاقتصادي والسياسي ، فانتهزت فرصة انحطاط فنيقيا الام خلال بداية القرن السابع ق . م عندما توالت على هذه الاخيرة هجمات الاشوريين من الداخل ، وحصار التجار الاغريق الذين استعادوا قوتهم البحرية منذ حوالي منتصف القرن الثامن ق . م (21) . فانتهزت قرطاجة هذه الفرصة وتزعمت السيادة البحرية والسياسية في غربي البحر الابيض المتوسط . وبذلك أصبحت أمبراطوريتها تمتد من خليج السرت في ليبيا شرقاً وتتجاوز

أعمدة هرقل غرباً ، كما ضمت اليها سواحل كل من اسبانيا والباليار وسردينيا ، كذلك جنوب غربي صقلية (22) .

ولم يكن القرطاجيون في أول الامر يهتمون بالصناعة والزراعةبقدر ما كانوا يعتنون بالتجارة التي كانت تدر عليهم أرباحاً طائلة . ويتمثل دورهم التجاري في ايصال خامات معادن الفضة والقصدير والرصاص الى الدول المصنعة في شرقي المتوسط، ثم نقل للبضائع المصنعة من الدول المذكورة وتوزيعها على محتاجيها من الشعوب المتأخرة صناعياً الذين كان القرطاجيون يتعاملون معهم عن طريق المقايضة (23). وقد كان القرطاجيون يحصلون على المواد الخام التي أشرنا اليها من مواطنها الاصلية في كل من : مقاطعة كرنويل في جنوب انجلترا . وجزر كاسيتريدس التي كانت تحتوي على معادن القصدير . واسبانيا التي وجدت بهـا مناجم الفضة والرصاص والنحاس . ثم من غرب افريقيا . الاستوائية وبلاد السودان اللتين كان يجلب منهما تبر الذهب والعاج والحجارة الكريمة (24) .

ولضمان سير الحركة التجارية القرطاجية وتوسعها في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط تحالف القرطاجيون مع الاتروسكيين ، ثم فرضوا سيادتهم على التجار الاغريق والرومان (25) . ولتأمين الاحتكار التجاري ارتبطت قرطاجة مع روما بمعاهدتين كانت أولاها سنة 509 ق . م — والثانية سنة 348 ق . م وقد نص في هاتين المعاهدتين على حق قرطاجة في احتكار تجارة الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط . وألزمت الرومان وحلفاءهم بعدم تعاطي التجارة على شواطئه قبل أخذ إذن من القرطاجيين (26) . وقد بقي الامر على ذلك حتى النصف الثاني من القرن الثالث ق . م عندما فقدت قرطاجة سيادتها على صقلية واسبانيا . ثم انكمشت حدودها السياسية عقب نهاية الحرب البونية الثانية فاقتصرت على شمال تونس .

الصناعة : اشتغل الفنيقيون بالصناعة منذ تأسيسهم لمدينة قرطاجة ، غير أنها كانت في أول الامر بسيطة بحيث لا تتجاوز صناعة السفن واصلاحها ثم استخراج صباغة الاجوان من محار الميوريكس الذي يصطادونه من شواطيء بلاد المغرب ، بالاضافة الى صناعة الفخار التي كانت تنقصها الجودة والاتقان . ولم تزدهر الصناعة القرطاجية الا اعتباراً من القرن الخامس قبل الميلاد عندما اصطدمت قرطاجة باتحاد المدن الاغريقية في معركة هيمرا سنة 480 ق . م .

اتضح لقرطاجة بعد هذا الاصطدام أنها لا تستطيع أن تصمد في أي صراع مقبل ما لم تكن تملك صناعة قوية (27) . ومن جهة أخرى فانه بحكم استيطان الاغريق في كل من شرق صقلية ، وقرينة بليبيا ، كانوا قد وقفوا حاجزاً دون اتصال القرطاجيين بشرقي المتوسط فاضطر القرطاجيون امام هذه الضرورة الملحة ، الى تصنيع المواد الخام المعدنية التي كانوا يجلبونها من المناطق المجاورة لهم ، كما عمدوا في نفس الفترة ، الى تشجيع الزراعة ، وهذا ما يطلق علية بمرحلة التحول في حياة سكان مدينة قرطاجة واتجاههم وجهة افريقية . وقد برع القرطاجيون في صناعة المعادن والنسيج، والثياب الارجوانية، وصناعة الاخشاب والنقش على الحجارة الكريمة . وأهم صناعة وجدت بقاياها بكثرة في قبور القرطاجيين ، الفخار الذي كان يشكل مادة هامة في الصناعة القرطاجية رغم خلوه من الخصائص الفنية والاتقان. وتشير نتائج الابحاث الاثرية الى أنه كان القرطاجيين معامل للخزف بالقرب من مدافن درمش (Dermech) بقرطاجة . ويعتقد بأن فخار هذه المعامل كان قد خصص لتجهيز القبور (23) . واستعمل القرطاجيون الفخار ايضاً في استعمالاتهم المنزلية فصنعوا منه المصابيح والتماثيل الصغيرة ، ثم الاقنعة والقدور ، والاجاجين (Urnes) . وكانت هذه الاخيرة تستعمل لحفظ عظام الموتى الذين كانوا يقدمون قرباناً للالهة. وقد وجد نموذج من الاجاجين التي تحوي عظام الاطفال الصغار المضحى بهم في معبد الالهة تانيت (Tanit) بصلامبو (Salammbo)

يعود تاريخها الى منتصف القرن الثامن ق . م (29) .

هذا وقد ظهرت قدرة قرطاجة الصناعية أثناء الحرب البونية الثالثة (149 — 146) ق . م . عندما فشل مجلس الشيوخ القرطاجي في اقناع القنصل الذي كان يقود الجيش الروماني للعدول عن رأيه في تهديم قرطاجة التي استجابت لطلب الرومان بتقديم كل أسلحتها لتبرهن لهم بذلك عن حسن نيتها ورغبتها في السلم ، فقد تحولت المدينة بأكملها الى ورش صناعية تنتج كل يوم حوالي 100 ترس ، و300 سيف ، ثم 500 رمح بالاضافة إلى 1000 سهم تقذف بواسطة المنجنيق (Catapulte) وعدد من الالات الحربية الأخرى (30) .

الزراعة : لم يعتمد القرطاجيون على التجارة والصناعة وحدهما ، بل كان للقطاع الزراعي ايضاً مكانته الخاصة . وقد تطورت الزراعة مثل الصناعة تدريجياً حيث كانت في أول الامر تنحصر في منطقة شبه جزيرة رأس بونة ، ثم تطورت بعد ذلك فشملت منطقة شمال تونس . وتشير الكتابات التاريخية الى أنـــه في أواخر القرن الرابع ق . م عندما غزا أجاتوكليس (Agathocles) بلاد المغرب ، ونزل بجنوده في طرف شبه جزيرة رأس بونة وجد في المنطقة الريفية المحيطة بقرطاجة بساتين جميلة ومروجاً خضراء مليئة بالقطعان والابقار والخيل . الخ (31) . وبعد ذلك بحوالي نصف قرن وجد الجنود الرومان الذين كان يقودهم ريغولوس (Regulus) المنطقة مزدهرة أكثر من ذي قبل فشرعوا يخربون المزارع والبساتين لبث الهلع في نفوس السكان وشل الاقتصاد القرطاجي (32) .

قد كانت ملكية المزارع الواسعة من حق الاغنياء الارستقراطيين ، الذين كانوا يوجهون السلطة السياسية والاقتصادية في مدينة قرطاجة ، ومن أهم المزروعات الشائعة في عهد القرطاجيين أشجار الزيتون والكروم ثم التين والرمان ، وأنواع أخرى من الفواكه والخضروات ، بالاضافة الى القمح والشعير (33) . وكان القرطاجيون قد برعوا في ميدان الزراعة

فظهر من بينهم العلماء المختصون الذين أغنوا مكتبات العالم القديم . ومن بين هؤلاء نذكر العالم ماغون (Magon) الذي عاش في حوالي القرن الثالث ق . م وألف دائرة معارف تتكون من 28 كتاباً علمياً ضمنها خبرته في فن الزراعة ، وقد قدم نصائحه لمن يشتغل بالزراعة خاصة فيما يتعلق بغرس الاشجار ونظام سقيها ، ثم الاماكن الصالحة لزراعة كل نوع منها. كما شرح ماغون الطرق الكفيلة بتربية الحيوانات وصناعة الخمور . (34)

ولم يكتف ماغون بتقديم النصائح العلميةفي ميدان الزراعة بل ذهب الى أكثر من ذلك فعارض امتلاك المواطنين للأراضي الزراعية واهمالهم العناية بها ، وطلب ممن يزاول مهنة الزراعةأن يتفرغ لها . وقد ورد في أحدى كتاباتة ينبغي على من يشتري أرضاً زراعيةأن يبيع بيته في المدينة ، حتى لا تبقى لديه تلك الرغبة التي تدفعهالى عبادة (آلهة) منزله في المدينة بدلا من عبادة (آلهة) الريف ، و المرء الذي يجد متعة أكبر في مقره في المدينة ليس بحاجة لامتلاك أرض في الريف (35) .

وخلاصة القول ، يمكن أن نستنج مما تقدم حول موضوع النشاط الاقتصادي القرطاجي ، بأنه كان اقتصاداً مرنا الى حد كبير اعتمد على ثلاثة موارد رئيسية هي : التجارة والصناعةوالزراعة . غير أنه من جهة أخرى فان هذا الازدهار الاقتصادي كان من بين الاسباب الرئيسية التي جعلت الرومان خلال فترة توسعهم ينقمون على القرطاجيين . وبالتالي يقدمون على تهديم مدينة قرطاجة سنة 146 ق. م ثم يجرون المحراث في أرضها وتصبح أرضاً ملعونة (لا تصلح لشيء).

وقد قيل بأنه بعد انتهاء عمليةالتهديم ، وقف القائد سيبيون أمليانوس (Scipion Emilien) الذي قادعملية التهديم يتأمل مجد قرطاجة الغابر ، ثم قال قولته المشهورة مستشهداً بشعر هوميروس طروادة سوف تلقى بدورها يوم نحس (36) .وكان يقصد بذلك مدينة روما .

خاتمة

تلقت منطقة الساحل الكنعاني منذمنتصف الالف الثاني ق . م آثار الصراع الناشب بين جيرانها الاقوياء : المصريون في وادي النيل ، ، والحثيون في آسيا الصغرى . كان هم هؤلاءالجيران ، الحصول على خيرات سوريا الداخلية : كالاخشاب والزيتون والخمور الخ ... من ذلك أن المنطقة الجنوبية الداخلية من سوريا كانت تعرف عند المصريين «ببلاد العسل واللبن .»

وقد ترتب على هذا الصراع تقسيم الساحل السوري سياسياً خلال القرن الثالث عشر ق . م الى منطقتي نفوذ هامتين هما : القسم الشمالي الذي كانت مدنه تحت تأثير النفوذ الحثي ، ثم القسم الجنوبي الذي كان تابعاً اسمياً لمصر . غير أن هذه الفترة لم تدم طويلا فقد انتهت بمجيء غزوة شعوب البحر المدمرة التي وضعت حداً للنفوذين المصري والحثي في المنطقة فأدى ذلك الى نشوء فراغ سياسي في منطقة الساحل السوري.

وهذا بدوره ترك المجال فسيحاً لممالك المدن الفنيقية التي استعادت قوتها وازدهارها بسرعة فائقة . واستطاعت مدينة صور بحكم موقعهـا الهام — على جزيرة بالقرب من الساحل أن تتزعم مدن الساحل الفنيقي ، ثم تلعب دوراً كبيراً في اعادة بناء الاسطول الفنيقي الذي أصبح البحر الابيض المتوسط مفتوحاً أمامه . خاصة بعد الركود الذي أصاب البحرية

الايجية من جراء غزوة شعوب البحر التي اجتاحت أيضاً بلاد اليونان وجزر البحر الايجي فاندفع التجار والملاحون الفنيقيون تحت زعامة صور . يجوبون البحر الأبيض المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي بحثاً عن الاسواق التجارية والسلع الرئيسية، وقد لفت انتباههم توفر خامات الفضة والنحاس والرصاص في شبه جزيرة ايبريا ، وأقصى الغرب ببلاد المغرب ، لذلك نراهم يؤسسون محطات تجارية باكرة ، مثل قادس ، وليكسوس وأوتيكا لتكون نقطة اتصال بينهم وبين السكان المحليين . وقد آلت هذه المحطات فيما بعد الى مستوطنات تجارية متقدمة على المحيط الاطلسي .

وقد تبين لنا من خلال البحث ، أن تأسيس المستوطنات الفنيقية في غربي البحر الابيض المتوسط ، لا يقتصر على مدينة دون أخرى من مدن الساحل الفنيقي التي استعادت ازدهارها غير أن ذلك لا يمنع أن تكون عملية الاستيطان هذه قد تمت تحت سيادة صور التي آلت اليها زعامة المدن الفنيقية في شرقي البحر الابيض المتوسط ، منذ القرن الثاني عشر ق . م . كما أن تأسيس مستوطنتي قادس وليكسوس على المحيط الاطلسي لم يكن لاغراض اقتصادية فحسب بل كان الهدف منه أيضاً مواصلة الكشف ، وقد اتضح ذلك فيما بعد عندما انطلق الفنيقيون عن طريق البحر من قادس شمالا الى جزر كاسيتريدس والى كورنويل ، واتجهوا أيضاً الى الجنوب من ليكسوس حتى بلغوا سواحل الكمرون في غربي افريقيا الاستوائية ، وبذلك أضافوا محطات أخرى تجارية في هذه المنطقة الاخيرة يمكن أن يطلق عليها اسم (محطات حنون) نذكر منها على سبيل المثال : ثايمياتريون (Thymiatirion) ، وسولوئيس (Soleis) وقرنة (Cerne) . ولا بد أن نذكر هنا ، بأن اكتشاف المحيط الاطلسي وارتياده لاول مرة يرجع الفضل فيه الى البحارة الفنيقيين، الذين جابوه بسفنهم قبل غيرهم حسبما تشير الى ذلك الوثائق الكتابية ، وهنا يمكن أن نتساءل عن الطريق الذي سلكه الفنيقيون للوصول الى الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، والخروج الى المحيط الاطلسي . وللاجابة عن

هذا السؤال، يمكن أن نعود الى ما ذكرناه خلال البحث في الفصل الخاص بالتوسع الفنيقي في غربي البحر الابيض المتوسط .

كما أن سبق قادس وليكسوس في التأسيس على كل مـــن أوتيكا وقرطاجة ، تم بقية محطات بلاد المغرب الاخرى الواقعة على الطريق الساحلي الرابطة بين فنيقيا الام والمحيط الاطلسي يجعلنا نرجح بأن عملية استيطان الفنيقيين في بلاد المغرب كانت قد بدات من الغرب الى الشرق.

ومن جهة أخرى فانه بالاستناد الى الكتابات التاريخية التي تعيد استقرار الفنيقيين في قبرص الى حوالي منتصف الالف الثاني او بعده بقليل ، وكذلك سبق حلولهم برودس وبلاد اليونان عن استيطانهم في غربي البحر الأبيض المتوسط ، بالاضافة إلى توزعهم في كامل صقلية قبل وصول الاغريق اليها ، في منتصف القرن الثامن ق. م. مثلما أشار إلى ذلك توكيديدس كل هذا يجعلنا نعتقد بأن الفنيقيين كانوا قد سلكوا طريق شمال الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط عند قدومهم لأول مرة باتجاه شبه جزيرة ايبريا التي كانت هدفاً في حد ذاتها ، نظراً لتوفر خامات المعادن بها ، غير أنهم عند الرجوع سلكوا ساحل بلاد المغرب ، وبذلك كان الاستيطان في هذه المنطقة الأخيرة وفقاً للترتيب الكرونولوجي ابتداء من الغرب إلى الشرق .

وقد كانت بعض المدن الفنيقية سواء في الساحل السوري أو الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تتبع مبدأ ازدواجية الميناء. ولا نستطيع أن نعرف الهدف الحقيقي الذي سعى اليه الفنيقيون من وراء هذا التنظيم . غير أن الذي يمكن أن نلاحظه هو أن هذه المدن التي كانت تتمتع بنظام ازدواجية الميناء ، كانت لها صبغة استراتيجية هامة بالاضافة إلى الناحية الاقتصادية . (أنظر الفصل الرابع).

وبل أن نختم هذا البحث لا بد أن نشير إشارة عابرة إلى علاقة سكان

المغرب القديم بالوافدين الجدد من الفنيقيين . وفي هذا الصدد نلاحظ بأن العلاقة بين الجانبين كانت حتى القرن الرابع ق. م. مبنية على التعاون السلمي والاتصال الحضاري والاقتصادي . أما بعد هذه الفترة المشار اليها فقد بدأت العلاقة السياسية بين القرطاجيين والسكان المحليين تسوء شيئاً فشيئاً ، وذلك لعدة أسباب اقتصادية وسياسية أملتها على قرطاجة روح السياسة الافريقية التي اتبعتها بعد هزيمتها أمام تحالف المدن الإغريقية في معركة هيمرا بصقلية سنة 480 ق. م.

ولم تنجح محاولات المغاربة الأولى للوقوف في وجه القرطاجيين ذلك لأن المغاربة كانوا حتى القرن الثالث ق. م. لا زالوا يعيشون على النظام القبلي . كما أنهم كانوا يفتقدون آنذاك إلى الوحدة السياسية ، ولا يتقيدون بنظام سياسي ضمن المدينة الواحدة ولم يتوفر لهم ذلك إلا عندما استبدلوا النظام القبلي بالنظام الاقليمي تحت زعامة الاقليد (الملك).

من هذا الاستعراض القصير للعلاقات الفنيقية المغربية ندرك بأن الموضوع لازال يحتاج إلى دراسة علمية موضوعية تعطي لسكان المنطقة الأوائل مالهم ، وما عليهم . وقد لاحظنا من خلال دراستنا لموضوع التوسع الفنيقي في عربي المتوسط بأن الحقبة الفنيقية في بلاد المغرب ، وخاصة منطقة نوميديا لازالت لم تحظ بعد بالعناية الكاملة لابراز معالمها التاريخية . وهذا لا يتأتى إلا بالبحث والتنقيب عن المصادر المادية التي هي أساس كل دراسة علمية تخص هذا الميدان .

الهوامش مرتبة حسب الفصول

الفصل الاول :

1) G. Contenau, la civilisation Phenicienne, Payot, Paris, 1949, pp. 21 - 23.

2) Op. Cit. p. 21.

3) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، بيروت ، 1958 ، ص ، 64 — 65 .

4) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنيقي وظهيرة ، دار العلم للملايين بيروت ، 1959 ، ص ، 46 .

5) عرف هذا الجبل سابقاً باسم سافون (بالكنعانية) ، وكاسيوس (باللاتينية) ، والاقرع (بالعربية) نظراً لخلو قمته من الاشجار .

6) محمد محمود الصياد ، جغرافية الوطن العربي ، الجزء الثاني ، معهد البحوث والدراسات العربية 1968 ، ص ، 357 .

7) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنيقي وظهيرة ص ، 124 — 125 .

8) جيزرة ، ويلر (الاين) وجماعــة ، جغرافية العالم الاقليمية ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد حامد الطائي ، بيروت ، 1965 ، ص 34 .

9) محمد صبحي عبد الحكيم ، وجماعة مــن الاساتذة ، الوطن العربي (أرضه وسكانه وموارده) الطبعة الاولى ، مكتبة الانجلو المصرية .

القاهرة ، 1968 ، ص ، 99 .

10) فليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ، 76 —69

11) المرجع السابق ، ص 76 — 69 .

12) هناك سببان رئيسيان يكمنان وراء هجرة الساميين من شبه الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب :

— أما أن يكون هؤلاء الاقوام قد هاجروا الى الشمال تحت وطأة العوز والفقر نتيجة تغيير المناخ في شبه الجزيرة العربية وبذلك يكونوا قد اتبعوا محاذاة الأنهار الدائمة الجريان نحو الشمال في شكل قبائل رحل .

— أو انهم خرجوا في شكل تجار لبيع منتوجات أنعامهم التي كانوا يربونها ، وقد أشير الى ذلك في القرآن الكريم (رحلة الشتاء والصيف) .

13) Herodote, I, 1.

14) Strabon, I, II - 35; XVI, IV, - 27.

15) كتاب التوارة التكوين ، 10 : 1 — 6 —

16) Justin, Trague Pompee, Tome II, Livre XVIII, III.

17) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنيقي وظهيره ، ص 214 .

18) المرجع السابق ، ص 207 .

19) عبد العزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ، ج 1 ، دار الفكر الحديث بيروت 1967 ، ص 208 .

20) المرجع السابق ، ص 309 ؛ احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1972 ، ص 82 .

21) عبد العزيز زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1966 ، ص 237 .

22) D. Hardon, the Thonicians, p. تشير بعض الكتابات التاريخية الى أن كلمة فيونيكس Phoinix-Phoenix تعني الدم الاحمر . وقد اطلقت لاول مرة على التجار الفنيقيين لوجوههم البرونزية من تأثير لفح الشمس .

كما تذكر هذه الكتابات أيضاً الى أن هذا الاسم يشير الى حمرة البلح الذي كان من جملة بضائع الفنيقيين التي تاجروا بها مع بلاد اليونان .

23) كتاب التوراة ، سفر التكوين ، 10 : 19 — 20 .

24) G. Contenau, la civilisation Phenicienne, p. 288.

25) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 88 .

26) D. Harden, The Phoenicians, Thames & Hudsen London, 1963, p. 25.

27) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ، ص90 — اشتهر سكان جزيرة ارواد ببراعتهم في الحصول على مياه الشرب في الاوقات الصعبة ، وقد اتبعوا في ذلك طريقتين : أولاهما تخزين مياه الامطار التي تنزل من سطوح المنازل في صهاريج .والطريقة الثانية كانت تتخلص في استخراج الينابيع التي كانت غائرة تحت مياه البحر وذلك بواسطة استعمال قمع كبير من الفخار مقلوب بفصل استخراج الماء العذب فوق سطح مياه البحر المالحة .

28) Strabon, XVI, 2 - 13.

29) J. H. Breasted, Ancient Records, Vols, 3, 1906, p. 362.

30) مدينة عمريت أو ماراتوس : ليست لدينا معلومات كثيرة حول هذه المدينة فيما عدا ما ذكره شاهد عمريت الذي يؤخذ كدليل على مدى تقدم فن النحت لدى سكان الساحل الفنيقي .

31) لا تشير المصادر القديمة الى الاسم الفنيقي للمدينة ، أمـا اسمها الاغريقي فهو ترابوليس (Trapolis) وهو يعني المدينة ذات الثلاث مدن .

32) تعرف حالياً بالبترون ، وقد سماها اليونان (Botrys)

33) جبيل هو اسم المدينة الحديث . أمـا جبلة (Gubla) فهي تسمية فنيقية . وقد سماها المصريون (Kepen) تحريف لاسم جبلة، وقدعرفت عند اليونان باسم بيبلوس (Byblos)

Pierre Montet, Byblos et L'Egypte, Tome XI, Librairie Orientaliste, Paris, 1928, p. 7. (34

G. Contenau, la civilisation Phenicienne, p. 18. (35

36) أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، دارالحرية للطباعة ، بغداد 1972 ص ، 31 — 32 .

The Cambridge Ancient History, Volume II, Cambridge University Press, London, 1926, p. 306. (37

Justin, Throgue Pompee, Tome II Livre XVIII, III; (38

39) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج 1 ، الطبعة الاولى ، دمشق 1969 ص 132 .

40) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1959 ، ص 122.

Strabon, XV, 2, 23. (41

G. Contenau la civilisation Phenisienne, p. 120. (42

Herodotus, I, 42 - 45. (43

44) رشيد الناضوري . المغرب الكبير ، ج 1 ، الدار القومية للطباعة القاهرة 1966 ص 161 — 162 .

B. H. Warmington, Carthage, p. 74. (45

46) كتاب التوراة ، الملوك الاول ، ٥ : 1 — 19.

47) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 153.

48) حاطوم ، عاقل ، طربين ، مدني ، موجز تاريخ الحضارة ، ج 1 ، دمشق 1965 ، ص 241.

Pierre Reusel peuples et civilisation, Tome II, Felix Alcon, Paris 1928. pp. 332-334. (49

The Cambridge Ancient History, Volume II, pp. 302-317. (50

Raymons Weill, la Phenice et l'Asie occidentale, Armand Colin, Paris, 1939 p. 192. (51

52) أحمد فخري ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الانجلو

المصرية القاهرة 1963 ، ص 110 .

53) يؤرخ لظهور الكتابتين المسارية والهير وغليفية بحوالي نهاية الالف الرابع ق . م وهناك من المؤرخين من يحاول اثبات سبق الكتابة الهيروغليفية للكتابة المسارية ثم العكس ، ولمزيد من الايضاح ، أنظر : هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الادنى ، ترجمة ميخائيل خوري بيروت 1959 ، ص 127 — 144 .

54) S. Moscati, histoire et civilisation des peuples semitiques, Payot, Paris, 1955, p. 121.

55) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص 120 — 121 .

56) Encyclepedia Britannica, Volume, 17 G.S.S. 1968, p. 894.

57) جون أ — هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ، ص 384 — 386 .

58) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص 272 ، ملاحظة 6 — وقف علماء تحليل اللغات في أول الامر عاجزين أمام عدد كبير من اللوحات الاوغاريتية ، وظنوا أن كتابتها غير معروفة ، ولكنهم سرعان ما توصلوا الى حل الاشكال عندما قارنوا كتابة الالواح التي عثروا عليها بالكتابة الكنعانية ، وكانت أغلب مواضيع اللوحات تدور حول الاساطير الدينية والاجتماعية في مدينة أوغاريت القديمة ،

59) Charles - Virelleaund, le palais royal d'ugarit, Paris 1965, p. 137; Claude F. A. Schaeffer, mission de Ras Shamra, Tomè III, Paris 1939.

60) جورج كوتنو الحضارة الفنيقية ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، شركة مركز كتب الشرق الاوسط ، القاهرة 1948 ، ص336.

61) جون أ — هامرتين تاريخ العالم المجلد الثاني ، 385 — 387 .

62) G. Contenau, la civilisation Phenicienne, pp. 254 - 255.

أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 40 ، شكل رقم13 .

63) G. Contenau, la civilisation Phenicienne, p. 259.

64) Ronald Harden, the Phoenicians, pp. 116-123.

65) جون أ ـ هامرتن ، المجلد الثاني ، ص 383 .

66) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، 122 .

67) فليب حتي ، المرجع السابق ، ص 121 .

68) فليب حتي ، المرجع السابق ، ص 124.

69) D. Harden, the Phoenicians, p. 83.

70) B. H. Warmingten, Carthage, p. 74.

الفصل الثاني

1) رشيد الناضوري ، المغرب الكبير ، ج 1 ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة 1966 ، ص 159 .

2) أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، الطبعة الثانيـــة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة 1960 ، ص 100 .

3) P. Montet, Byblos et l'Egypte, Tome XI, pp. 29-59.

4) The Cambridge Ancient History, Volume 3, p. 538.

5) يستفاد من الرسوم الملونة الـتي عثر عليها مزينة لجدران مقابر بني حسن ، بأن العلاقة كانت وثيقة بين المصريين والساميين ، وتتمثل في الصورة جماعة هؤلاء المهاجرين ذوي اللحى الطويلة بنسائهم واطفالهم . وكان رئيسهم يتقدمهم طالباً السماح له ولقومه بالاقامة في مصر مقابل تقديم الهدايا . وعلى ذلك فان مصر في القديم كانت لا تقف في وجـــه الهجرات الفردية او الصغيرة بل كانت فقط تقف في وجه الهجومات العسكرية .

6) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين . ج 1 . ص 138 .

7) جون ولسون . الحضارة المصرية ، ترجمـــة أحمد فخري . مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1951 ، ص 348 ـــ انصرف اخناتون

انصرافاً تاماً عن شؤون الامبراطورية . وكرس جهوده الى عبادة الآله أتون (قرص الشمس) الذي بني له معبداً في الهواء الطلق في تل العمارنة. ونقل العاصمة من طيبة في الجنوب الى مدينته الجديدة ، ثم نقل معه كل وثائق المراسلات التي عثر عليها فيما بعد السير فلندرز بيتري سنة 1891. وقد ترتب عن ثورة اخناتون الدينية أن شب نزاع سياسي داخلي ، ترتب عنه ضعف السياسة الدفاعية الخارجية لمصر .

8) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1966 ، ص 504 — 507 . تشير الوثائق المصرية الى انتصار رمسيس الثاني بفضل اعانة الاله أمون له على أعدائه . وقد غرق عدد من عظماء الحثيين في النهر أو أنهم سقطوا تحت سنابك خيل رمسيس ، ووجد من بين الأعداء شقيق ملك الحثيين جاثياً على ركبتيه . أما الوثائق الحثية التي وجدت في بوغازكوي عاصمة الحثيين . فتذكر بأن رمسيس الثاني هزم في معركة قادش،وتراجع بعد ذلك النفوذ المصري في سوريا حتى بلدة (أبا —ABA) القريبة من دمشق. وقد ضمت معظم بلاد الاموريين الى الحثيين بعد معركة قادش .

9) The Cambridge Ancient History, Volume 3, p. 138.

10) D. Harden, the Phoenicians, p. 50.

11) رشيد الناضوري ، تاريخ المغرب الكبير ، ج 1 ، ص 158 .

١٢) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج 3 ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة 1966 ، ص ١١٩ —

13) The Eneyclclopedia Americana, Volume 21. p. 736.

14) P. Cintas, Manuel d'Archologie unique, Tome I, p. 56.

١٥) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج 3 ، ص ١٢0 — هناك من يفسر علاقة أحيرام ملك صور بداود وسليمان ملكي العبرانيين في الألف الاول ق . م بأنها كانت ناتجة ، على أن حيرام عندما رأى القوة الحربية للعبرانيين وتوسعهم على حساب الاراميين والموأبيين

والادوميين في الداخل خشي من توسعهم على حساب صور التي كانت بيدها زعامة الفنيقيين ، فتقرب من داود وعقد معه صداقة بقصداشغاله عن التفكير في التوسع على حساب ممالك المدن الفنيقية

16) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج 1 ، ص 102 .

17) B. H. Warmington, Carthage, p. 13.

18) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ص 64 .

19) جون ولسون ، الحضارة المصريـــة ترحمة أحمد فخري ، ص ، 154 .

20) أحمد فخري ، دراسات في التاريخ الشرق القديم ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية القاهرة 1963 ، ص 62 .

21) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ؛ص110 ..

22) P. Cintas, Manuel D'Archeo. Puni., p. 249.

23) لمزيد من الايضاح حول قادس ومعادنها الثمينة ، أنظر الفصل الثالث الخاص بالتوسع الفنيقي في غربي المتوسط ، ص 63 —64 .

24) Strabon, II, 0,

25) Encyclopedia, Britannica, Volume 17, 1968, p. 827.

26) The Cambridge Ancient History, Volume IV, p. 347.

27) أندريه أيمار ، تاريخ الحضارات العام ، ترجمة يوسف أسعد داغر ، منشورات عويدات ، بيروت 1964 ، ص 256 .

28) D. Harden, the Phoenicians, p. 134, fig. 37

29) أحمد فخري ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص 77.

30) P. Cintas, Manuel D'Archeo. Puinique, p.

31) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، ص 285 — 288

32) B. H. Warmigton, Carthage,. pp. 22-23.

الفصل الثالث

1) G. Contenau, la civilisation phenicienne, Payot, Paris, 1949, p. 223.

2) G. Contenau, Ibid, p. 224.

3) كتاب التوراة ، سفر الملوك الاول ، 5 : 1 — 18 .

4) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 150 .
أحمد سوسة العرب واليهود في التاريخ ، ص 29 ، شكل رقم 22 .

5) G. Contenau, la civilisation phenicienne, p. 234.

6) Andre Parrot, Assur, Gallimard, Paris 1961, p. 8, fig.
A.P C. Harden, the Phoenicians, fig. 50.

7) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 106 .
كانت دفة السفينة عند الفنيقيين في القديم توضع في شكل مجـذافين عريضيين في مؤخرة السفينة ، أحدهما الى اليمين والاخر الى اليسار .

8) G. Contenau, la civilisation phenicienne, pp. 234-235.

9) محمد كامل عياد ، تاريـخ اليونان ، ج 1 الطبعة الاولى ، دمشق 1966 ص 131 .

10) وجه القرطاجيون كل عنايتهم الى الاسطول الحربـي منذ بداية القرن الخامس ق . م (480) عند اصطدامهم لاول مرة في معركة هيمرا (Himera) في صقلية بالتحالف الاغريقي الغربي الذي كان يقوده الطاغية جيلون حاكم مدينة سيراكوزا .

11) فليب حتي ، تـاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 108 — 110

12) كتاب التوراة ، سفر حزقيال ، 27 : 3 — 36 .

13) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، ص 274 — 275 .

14) D. Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, London 1963, p. 169, fig. 50.

The Cambridge Ancient History, Vols. (2), pp. 207-208. (15

B H. Warmington, Carrıage, p. 46. (16

أسست مستوطنة ماسيليا(مرسيلياحالياً) في حوالي 600 ق . م من قبل الفوسيين (Phocaen) وكان الهدف منها ربط الاتصال بمراكز المعادن في غربي أوربا ، على المحيط الاطلسي ، حيث كانت القوافل تنطلق من ماسيليا عبر غاليا الى شواطيء المحيط الاطلسي ، والجزر المنتشرة جنوب بريطانيا (كاسيتريدس) كورنوال ، للحصول على خامات القصدير .ونظراً لاهمية هذه المدينة الاستراتيجية حاول الاتحاد الاتروسكي الفنيقي في القرن السادس ق . م الحيلولة دون وصول اغريق صقلية الى ماسيليا .

17) هشام صفدي تاريخ الرومان الجزء الاول دار الفكر الحديث ، لبنان 1967 ، ص 55

S. Gsell, histoire ancient de l'Afrique, Tome I, pp. 510-511. (18

19) جون أ- هامرتن ، تــاريخ العالم ، المجلد الثاني ، ترجمــة وزارة المعارف المصرية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 172 — (Ram) تعني (رأس الكبش) وهي قطعة حديدية ناتئة في مقدمة السفينة تستعمل لضرب سفن الاعداء وقلبها

20) المرجع السابق ، ص 271 .

21) شارل أندريه جوليان ، تــاريخ افريقيا الشمالية ، ج 1 ، ترجمة محمد ميزالي وبشير بن سلامة ، الدار التونيسية للنشر ، تونس 1969 ، ص 97.

22 جون أ — هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ، ص 271 .

Gustave Fougeres, peuples et civilisation, histoire generale, Felex Alcan, Paris 1926, pp. 228. 232. (23

24) يقصد بكلمة استراتيجي هنا ظهور الموانيء الحربية ، الفصل بينها وبين الموانيء التجارية ، ويحتمل أن تكون قرطاجة ، في غربي البحر

الابيض ا لمتوسط هي أول مدينة عملت بهذا المبدأ.

25) G. Contenau la civilisation phenicienne, pp. 228-229.

26) S.' Gsell, hist. ancienne de l'Afrique du Nord, Tome I, pp. 59-60.

27) القاطون ، يعني المنحوت ، الكلمة مشتقة مـــن فعل قط ، ذلك لان هذا الميناء نحته الفنيقيون داخل الصخور ، ممايدل على البراعة الفنية العالية التي كان يتمتع بها الفنيقيون ، ولمزيد من الايضاح أنظر :
Strabon, XVI, 23.

28) Strabon, XVII, 23.

29) G. Contenau, la civilisation phenicienne, pp. 56-57.

30) Strabon, II, 4 sec. 4.

31) Diodorus, V, 16.

32) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جـ 1 ص168 .

33) محمد كامل عياد تاريخ اليونان ، جـ 1 ، ص 132.

34) فليب حتي ، لبنان في التاريخ ترجمة أنيس فريحـــة ونيقولا زياده مؤسسة فرنكلين للطباعة ، بيروت 1859 ، ص 118.

35) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربيـــة ، القاهرة 1966 ، ص 276 .

36) The Cambridge Ancient History, Vols. I, p. 504.

37) Herodotus, VI, 47, pliny, nat. hist. VI, 56; Strabon.

38) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، جـ3 ، ص 157 .

39) Herodotus, II 49; V. 57. — تشير الاسطورالى أن — أجنور (Agenor) ملك فنيقيا كان قد أرسل ابنه قدموس للبحث عن شقيقته أوربا (Europe) التي اختطفها الآله زفث (Zafis) من مرج على الساحل الفنيقي بعد أن وقع في حبها ، وفي كريت استعاد الآله زفث شكله الحقيقي ثم تزوج من أوربا فأنجبت له الملك المشرع مينوس (Minos) ،

وتذكر أسطورة قدموس هذه الى أن أوربا القارة يمكن أن تكون أخذت أسمها من اسم أوزبا (Europa) والدة الملك مينوس والتي تعني في اللغة الفنيقية الغرب ولمزيد من الايضاح أنظر فليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص 144 .

40) Warmington, Carthage, p. 36.

41) محمد السيد غلاب الساحل الفنيقي وظهيرة ، دار العلم للملايين بيروت 1959 ، ص 437 — Diodorus, sic. V, 35 §. 2.

42) The Cambridge Ancient History Vols. 4, p. 347.

43) B. H. Warmington, Carthage, p. 15.

44) شارل أندريه جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ج 1 ص 85 .

45) P. Cintas, Manuel D'Archeologie Punique, pp. 251-258.

46) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج ، 118.

47) G. Conteau la civil, Phenici. pp. 56-57.

48) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 111 .

49) Harden, the hoenicians, p. 171: Jean Mazel, avec les pheniciens, p. 164.

كانت قادس أيضاً تمثل قاعدة لحماية المضيق من المنافسين ، يمكن استنتاج ذلك من اسم قادس نفسه Cadir التي تعني بالفنيقية (قلعة أو حصن).

50) Warmington, Carthage, pp. 74-76.

51) op. cit. pp. 42-43.

52) Jacques Heurgon, Rome et la mediterranee occidentale, Paris 1969, pp. 157-158.

53) هشام الصفدي ، نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر ، الاصالة ، العدد 8 ، ماي ، جوان ، الجزائر 1972 ، ص 270 .

54) Saluste, Bellum Jugurthinum, XVII, 4.

55) B. H. Warmington, Carthage, p. 23.

56) Op. Cit. pp. 23-24.

57) P. Cintaspp, Manu., D'Archeo, punique, p. 469.
58) Op. Cit. pp. 253-254.
59) نظرية البوميرانغ (Boomirang) مأخوذة من سلاح — البوميرانغ الذي يرمى فيعود الى قاذفه آلياً . ونشير اليه هنا كمقارنــة وتبيان للحركة التجارية الفنيقية التي لا بد أن تعود فوائدها الى نقطة المركز التي انطلقت منه لاول مرة (الساحل الفنيقي) . وقدعالج هذه الفكرة الدكتور هشام الصفدي في محاضراته في جامعة الجزائر1972 — 73
60) B. H. Warmington, Carthage, p. 29.
61) رشيد الناضوري ، المغرب الكبير ، ج 1 ،ص 55 .
62) D. Harden, the Phoenicians, p. 63; Jean Mazel avec les pheniciens, pp. 224-225.
63) P. Cintas, manu d'archeo. punique, p. 373-374.
64) D. Harden, the Phoenicians, fig. 23; P. Cintas Manuel D'Archeo. punique, pp. 378-382.
65) D. Harden, the Phoenicians, p. 101.
66) B. H. Wamnigton, Carthage, p. 26.

الفصل الرابع

1) سنطلق مصطلح المغرب القديم بدلا مــن شمال افريقيا ، وذلك لتلاؤمه مع المفهوم الحديث للمنطقة.
(2 Diodore De Sicile, Tome V. 25.
(3 Veleius Paterculus, hist. Rom., I, 2. 3. et suive d'apres, P. Cintas, manuel d'archeologie punique, Tome I, Editions A. et J. Picard, Paris, 1970, p. 253.
(4 S. Gsell, hist. ancienne, Tome I, p. 405.
(5 Pomponius. Mela, d'apres, P. Cintas, M. d'archeo. pomponius punique, Tome I, p. 252.

6) G. Lilliu, H. Schubart et J. Thimme civilisations ancienne dubassin mediterraneen, editions Albin Michel.

7) كتاب التوراة ، سفر الملوك الاول ، 10 : 22 — 23 .

8) Pline, Vols., IV, 120.

9) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 110.

10) B. H. Warmington, Carthage, p. 33..

11) S. Gsell, hist. anci. Tome, I, p. 409.

12) Donald Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, London. 1963, p. 63.

13) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 143.

14) هشام الصفدي ، تاريخ الرومان الجزء الاول دار الفكر الحديث لبنان ، 1967 ص 153 . الحاشية رقم 1 .

يعرف هذا النصب بحجر نورا ، هو موجود حالياً في متحف فالري بجزيرة ساردينيا .

15) S. Gsell, histoire ancienne. Tome I p. 410.

16) D. Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, London, 1963, p. 63.

17) J.: Mazel; avec les pheniciens, Robert Laffont, Paris 1967, p. 227.

18) Thucydide, VI, 2. 6.

19) B. H. Warmington, Carthage, pp. 31-32.

20) S. Gsell, histoire ancienne, Tome I, p. 409.

21) S. Gsell, Ibid., p. 409.

22) B. H. Warmington, Carthage, p. 32.

23) G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a carthage, pp. 179-10.

24) شارل أندرى جوليان ، تاريخ افريقايا الشمالية ، ج 1 ، ص 91 .

25) The Cambridge Ancient History, Vols. 4 Cambridge University Press, 1964, p. 349.

26) P. Cintas, Manuel d'Aarcheo. punique, p. 334.

27) Diodorus, Tome V, 12 secs. 2 - 4.

28) P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique, p. 246.

29) B. H. Warmington, Carthage, p. 77.

يعرف نهر ليكوسوحاليا بنهر درعا (Draa)

30) Strabon, XVII, 3.2.

31) Pliny, XIX, 63; هناك أسطورة يونانية تذكــر بأنه كانت توجد حول مدينة ليكسوس حديقة تحرسها الحواري ، وان الآلههرقل (Hercules) كان قد حصل منها على التفاحات الذهبية .

32) أحمد المكناسي ، مــدينة ليكسوس الاثرية، دار كريمان ، تطوان سنة 1961 ، ص 9 .

33) P. Cintas, Manuel, D'Archeo. punique. p. 24.

34) J. Heurgon, Rome et la mediterranee occidentale presses universitaires de France, Paris 1969, pp. 136-137, Strabon, 1.2.3.

35)

36) Strabon, op. cit., III, 2, 14.

37) S. Gsell, Hist. ancienne Tome I, pp. 360-361.

38) P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique, p. 238.

39) G. et C. Charles Picars, la vie quotidienne a Carthage, pp. 13-14.

40) B. H. Wamington, Carthage, p. 26.

41) P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique, pp. 294-298.

42) B. H. Warmington, Carthage, p. 69.

43) G. et C. C. Picard, vie et mort de Carthage, Hachette, Paris 1970, p. 292.

44) شارل أندرى جوليان ، تــاريخ افريقيا الشمالية ، ج 1، ص 149 — من بين الموانيء الفنيقية التي كانت لها حرية الملاحة في الفترة

الرومانية الباكرة في المغرب نذكر الى جانب أوتيكا حدرومت لمطة ورأس ديماس، وأشولة ثم تودالوس بالقرب من بنزرت .

45) 2 ، 3، 1 (Strabon) — كان الفنيقيون لا يراعون في سفنهم التجارية السريعة بقدر ما كانوا يهتمون بسعة السفينة ونظراً لان هذه السفن كانت لا تعتمد الا على الاشرعة وعضلات المجذفين ، فان المسافة التي كانت تقطعها السفينة في اليوم الواحد لا تتجاوز 30 ميلا بحرياً ، وكان التجار الفنيقيون يستريحون خلال الليل من عناء التجذيف اليومي ، وعلى ذلك سميت المحطات التي كانوا ينزلون فيها (محطات الاستراحة) .

غير أن الكثير من محطات الاستراحة المشار اليها انقلبت الى محطات تجارية يلتقي فيها التجار الفنيقيون بالسكان المحليين للتبادل التجاري الذي كان يتم عن طريق المبادلة ، عندما توفرت لها الشروط الملائمة لذلك .

46) Salluste, Jugurtha, XIX, I.

47) بدأ العهد القرطاجي في بلاد المغرب منذ حوالي القرن السادس ق .م وبالتقريب اعتباراً من تأسيس مستوطنة ايبيزا (Ibiza) في جزيرة الباليار 554 ق . م .

48) Polybius, I, 82.

49) B. H. Warmington, Carthage, p. 221.

50) G. et C. Picard, vie quotidienne a Carthage, p. 221.

51) G. et C. Ibid., p. 221.

52) Polybius, I, 87, XV 5, 3.

53) Polybius, Ibid, XV, 5. 3.

54) Thucydide, III, 50. — كانت السفن الفنيقية أو القرطاجية القادمة من الشرق الى مدينة قرطاجة تفرغ حمولتها في مدينة نابل عندما تعترضها صعوبات اضطراب الامواج التي تعيقها عن الدوران حول رأس بونة والدخول الى خليج تونس . ثم تحمل هذه البضائع بواسطة القوافل عن طريق البر الى مدينة قرطاجة .

55) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنيقي وظهيرة ، ص 477

56) S. Gsel, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome II, Hachette, Paris 1818, pp. 149-151.

كان القديس أو غيسطين ، هو من مواليد مدينة ثاغيست (The Caste) سوق أهراس حالياً ، قد اتخذ عنابة (Hippo-Rigius) أسقفية لنشر الدين المسيحي في بلاد المغرب خلال القرن الخامس للميلاد .

57) B. H. Warmnigton, Carthage, p. 70.

58) Miriam Astrug, revue africaine. Nov. - Dec. 1935, pp. 221, 253.

59) S. Gsell, Atlas archeologique de l'Algerie, Tome I, Feuille No. 7 Alger 1911.

60) S. Gsell, Tome 2, pp. 159-160.

61) S. Gsell, Atlas archeologique de l'Algerie, Tome I, Feuille No. 5.

62) B. Cintas, Rev. Africaine, (No. 91 - 92), 1948, pp. 276 - 279.

63) P. J. Mesnage, fomanisation de l'Afrique, Gabriel Beauchesne editeur, Paris 1913, pp. 17-19.

64) B. H. Warmington, Carthage, p. 70.

65) شارل أندري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ج 1 ، ص109

66) S. Gsell, Tome, (2), pp. 164-166.

67) M. Ponsich, recherches archeologique atanger et dans sa region, ed. (C. N. R. S.) Paris 1970, pp. 67-68.

68) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنيقي وظهيرة ، ص 430 .

الفصل الخامس

1) S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome I, p. 397.

2) P. Cintas, Manuel d'Archeologie punique, p. 126.

3) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القـــديم ،ج 3 ، ص 126 .

(4 S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique, Tome I, p. 89.

5) بيرصة (Byrsa) : كلمة يونانية تعني جلد الثور، واطلاقها هنا يمكن أن يكون تحريفاً لكلمة بورصة (Boursa) الفنيقية التي تعني القلعة.

(6 G. et C. Charles — Picars, la vie quotidienne a Carthage, Hachette, Paris 1958, p. 24.

(7 Polybius, I, 73, 4-5. — كانت سبخة اريانة على البحرولا تحجبها كثبان رملية كما هو الحال اليوم ، لذلك لم يشر اليها بوليبيوس واعتبرها ضمن خليج تونس .

(8 G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, pp. 26-30.

9) شارل اندرى جوليا ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ج 1 ص 107 .

(10 B.H. Warmington, Carthage, p. 141.

(11 M. Fantar, Carthage, la prestigieuse cite d'Elissa, maison tunisienne de l'edition, 1970, p. 57.

(12 S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome II, p. 39

(13 op. cit. pp. 53-5.

(14 Archeologie Vivante, Vols. I No. 2 Dec. 1968 et Fev. 1969, pp. 58-59.

(15 B.H. Warmington, Carthage, p. 140.

(16 G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, p. 35.

(18 G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, pp. 33-34.

19) قارن بين ماوردفي :

1) Archeo. Vivante, Vols. I No. 2, Dec. 1968 Fev. 1969 I. p. 58.

2) Applan VIII, 117.

20) يحتمل أن يعود بناء سور مدينة قرطاجة ، الى فترة التوسع التي تصادف القرن الخامس ق . م ولمزيد من الايضاح أنظر :

B. H. Warmington Carthage pp. 140-141.

21) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج 1 ص 124 — 128 .

22) فليب حتي ، تاريخ سوريا وفلسطين ، ج 1 ، ص 115—116.

(23 B. H. Warmington, Carthage, p. 151.

اتبع الفنيقيون والقرطاجيون طريقة المقايضة في علاقتهم التجارية مع شعوب غربي المتوسط ، وبقوا على ذلك حتى القرن الخامس ق . م حيث أخذوا عن الاغريق في صقلية سلك العملة حسب العيار الاثيني . أما مدينة قرطاجة فلم تضرب عملتها الا في بداية القرن الرابع ق . م حيث أقيم معمل لسك العملة على هضبة بيرصة .

(24 S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome IV, p. 478.

(25 Th. Mommsen, histoire Romaine, Tome III, pp. 7 - 12.

(26 G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, p. 180.

(27 op. cit. p. 176.

(28 P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique. p. 433.

(29 Archologie Vivante, Vols. I No. 2 Dec. 1968 - Fev. 1969 pp. 37 - 38.

(30 C. Charles et C. Picard, vie et mort de Carthage, Hachette, Paris 1970, p. 292.

المقصود بكلمة الرومان هنا مجلس الشيوخ الروماني .

(31 S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome IV, p. 3.

(32 Polybius I, 29 - 7.

(33 S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome III, pp. 27-29.

(34 M. Fanter, Carthage, la prestigieuse cite **d'Elissa,** pp. 139-141.

35) هشام صفدي ، نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر ، مجلة الاصالـــة العدد ماي — جوان الجزائر 1972 ، ص 165 ،

(36 B.H. Warmington, Carthage, p. 260.

الفهرس

الفصل الثالث : التوسع الفنيقي في غربي المتوسط

الفصل الرابع : المستوطنات الفنيقية .

الفصل الخامس : مستوطنة قرطاجة .

فهرس هوامش الفصول

فهرس خاص بالخرائط والمخططات الايضاحية

قائمة المراجع العربية المعتمدة في البحث

1 – نجيب مخائل ابراهيم — مصر والشرق الادنى القديم الجزء الثالث، الطبعة الثالثة . دار المعارف ؛ القاهرة 1966 .

2– رولاند اوليفر — تاريخ افريقا ؛ ترجمة عقيلة محمود رمضان الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1964 .

3– اندرى ايمار — تاريخ الحضارات العام . المجلد الاول والثاني . ترجمة يوسف أسعد داغر . منشورات ، عويدات بيروت 1964.

4– محمد سليمان ايوب — جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، الطبعة الاولى دار المصراتي للطباعة والنشر ليبيا 1969 .

5– طه باقر — مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . الجزء الاول والثاني الطبعة الثانية ، شركة التجارة والطباعة ، بغداد 1956.

6– جيمس هنرى بربستد — انتصار الحضارة، ترجمة أحمد فخري مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1962.

7– عبد الرحمن بن خلدون — كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر.. المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت 1956 .

8– وليد الجادر — الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر الطبعة الاولى ، مطبعة الاديب البغدادية بغداد 1972 .

9– شارل اندرى جوليان — تاريخ افريقيا الشماليه ، الجزء الاول ، ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة ، الدار القومية للنشر تونس 1969 .

10– فليب حتي — تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ترجمة بيروت 1958 .

11– فليب حتي — لبنان في التاريخ ، ترجمة انيس فريحة ونيقولا زيادة مؤسسة فرانكلين للطباعة بيروت 1959 .

12– نسيب وهيبة الخازن — من الساميين الى العرب ، الجزء الاول ، مكتبة الحياة ، بيروت 1962 .

13– دريني خشبة — الياذة هوميروس ، دار الهلال ، القاهرة 1970 .

14– محمد علي دبوز — تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، القاهرة 1964 .

15– محمد عزة دروزة — تاريخ الجنس العربي ، المجلد الثاني الجزء الرابع ، منشورات المكتبة العصرية صيدا – بيروت 1960 .

16– محمد عزة دروزة — تاريخ موجات الجنس العربي ، المكتبة

العصرية ، بيروت صيدا بدون تاريخ .

17– محمد عزة دروزة — تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت 1969 .

18– ول ديورانت — قصة الحضارة الاجزاء الاربعة الاولى ، ترجمة زكي نجيب محمود ، الطبعة الثالثة القاهرة 1965 .

19– عبد الحميد زايد — الشرق الخالد ، دار النهضة العربية القاهرة 1966 .

20– جورج سارتون — تاريخ العالم الجزءان الاول والثاني ، ترجمة محمد خلف الله وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة 1963 .

23– هشام الصفدي — تاريخ الرومان الجزء الاول ، دارالفكر الحديث ، لبنان 1967 .

24– أحمد صفر — مدينة المغرب العربي في التاريخ ، الجزء الاول ، الدار التونسية للنشر بوسلامة تونس 1959 .

25– محمد محمود الصياد — جغرافية الوطن العربي ، الجزء الثاني معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1968 .

26– توفيق الطويل — قصة الكفاح بين روما وقرطاجة ، الطبعة الثالثة مكتبة مصر ، القاهرة 1955 .

27– عبد الحق سليم عادل — روما والشرق الرومـاني في العهد الجمهوري حتى نهاية قصير المطبعة الهاشمية ، دمشق 1959

28– عبد العزيز عثمان — معالم تاريخ الشرق الادنى القديم الجزء

الاول دار الفكر الحديث ، بيروت 1967 .

29– محمد كامل عياد — تاريخ اليونان ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى دمشق 1969 .

30– محمد السيد غلاب — الساحل الفنيقي وظهيره ، دار العلم للملايين ، بيروت 1969 .

31– أحمد فخري — دراسات في تاريخ الشرق القديم مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة 1963 .

32– هنري فرانكفورت — فجر الحضارة في الشرق الادنى ، ترجمة مخائيل خوري ، بيروت 1959 .

33– محمد فنطر — يوغرطة ، الطبعة الاولى الدار التونسية للنشر ، تونس 1970 .

34– جورج كونتنو — الحضارة الفنيقية ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، شركة مركز كتب الشرق الاوسط القاهرة 1948 .

35– هارولد لام — هانيبال ، ترجمة رشدي الشني ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1962 .

36– وليام لانجر — موسوعة تاريخ العالم الجزءالاول ، ترجم تحت اشراف محمد مصطفى زيادة الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1959 .

37– والف لنتون — شجرة الحضارة ، الجزءان الاول والثاني ترجمة أحمد فخري ، مكتبة الانجلو مصرية القاهرة 1958.

38– هـ . أ . مارو — من المعرفة التاريخية ، ترجمة جمال بدران الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة 1971 .

39– جورج مصروعة — هنيبعل الجزءان الاول والثاني ، الطبعة الاولى دار الثقافة ، بيروت 1963 .

40– أحمد المكناسي — مدينة ليكسوس الاثرية ، دار كريماديس تطوان 1961 .

41– أحمد المكناسي — خريطة المغرب الاركيولوجية ، دار كريماديس تطوان 1961 .

42– موسكاتي — الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر دار الكتاب العربي ، بيروت 1959 .

43– رشيد الناضوري — المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا ، الكتاب الاول بيروت 1962 .

44– رشيد الناضوري — المغرب الكبير ، الجزء الاول ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة1666.

45– حاطوم نورالدين — موجز تاريخ الحضارة الجزء الاول ، دمشق 1965

56– جون 10 . هامرتن — تاريخ العالم المجلد الثاني ، ترجمة وزارة المعارف القاهرة بدونتاريخ ما وراء التاريخ أحمد ابو زيددار النهضة المصرية القاهرة 1965 .

48– جون ويلسون الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخري مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1951 .

49– هـ. ج. ويلتر موجز تاريخ العالم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مكتبة النهضة المصرية ؛ القاهرة 1958 .

50– جيز . هـ. ويلز (الابن) جغرافية العالم الاقليمية ، الجزء الثاني ترجمة محمد حامد الطائي ، بيروت 1965 .

1– الاصالة هشام الصفدي ، نحـــو وعي افضل لتاريخ الجزائر ، العدد الثامن (ماي– جوان) ، الجزائر 1972 .

2– الحوليات الاثرية السورية كلود شيفر ، نتائج موسم الحفريات التاسع عشر في رأس شمرا ، المجلد السابع ، الجزآن الاول والثاني سوريا 1957 .

المراجع الاجنبية

1) المصادر :

1 - Apian, VIII, I.

2 - Ibid., VII, XVIII.

3 - Diodorius, sic., Volume V.

4 - Herodote, I, II, V, VI.

5 - Justin,. Trogue Pompee, tome II,, livre XVIII, III.

6 - Pliny, naturel histoiry, Volume VI.

7 - Polybius, I.

8 - Pomponius Mela, d'aprés Picnitas, Manuel d'archèologie punique, tome I, Paris 1970.

9 - Salluste, Jugurtha, bellum Jugurthinum, XVII, XIX.

10 - Strabon, I, II, III, XIV,

11 - Thucydid IV, VI.

12 - Veleius Paetculus, Hist. 1, 2, 3 et suiv d'après P. Cintas Manuel d'archèologie, tome I, Paris 1970.

2) المراجع :

1 - A Lezine, curthage Utique, Paris 1968.

2 - A. Barrot, assur.

3 - B. H. Warmington, carthage Pelican Books, London 1964.

4 - CH. A. Julien, histoire de l'afrique du Nord T. I. Paris 1951.

6 - C.F.A. Schaeffer, Mission de Ras Shamra, tome III, Paris 1939.

7 - D. Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, London, 1963.

8 - Encyclopedia Americana, Volume 21.

9 - Encyclopedia Britanica, Volume 17, G.S.S. 1968.

10 - G. Contenau, la civilisation phènicienne, Payot, Paris 1949.

11 - G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a carthage, Hachette, Paris 1970.

12 - G. et C. Charles Picard, vie et mort de carthage, Hachette, Paris 1978.

13 - G. Lilliu, H. Schubart et J. Thimme, Civilisations anciennes du bassin mediterranèen, Editions Albin Michel, Paris 1970.

14 - G. Fougeres, Peuples et civilisation. Histoire gènrale, Felex Alcan, Paris 1926.

15 - J. Heugon, Rome et la Méditerranée Occidentale, Paris 1970.

16 - J. Mazel, avec les phèniciens, Robert Laffont, Paris 1967.

17 - J.H. Breasted, Ancient Records, Vols. 3, 1906.

18 - Fanter, Carthage, la prestigieuse cite d'Elissa, maison tunisienne de l'edition, Tunis 1970.

19 - M. Ponsich, Recherches archèologiques à tanger et dans sa Règion, F. D.

20 - P. Cintas, Manuel d'Archèologie Punique, tome I.

21 - P. J. Manage, romanisation de l'afrique, Gabriel Beauchesne Editeur, Paris 1913.

22 - P. Montet, Bybloc et l'Egypte, tome XI Librairie Orientaliste, Paris 1928.

23 - P. Russel, peuples et civilisation, tome II, Felix Alcon, Paris 1928.

24 - R, Weill, la phènicie et l'asie accidentale, Armand Colin, Paris 1939.

25 - S. Gsell, Atlas archèologique de l'algerie, tome I, Algier 1911.

26 - S. Gsell, histoire ancienne de l'afrique, tome I, II, III, IV.

27 - S. Moscati, Histoire et civilisation des peuples Sémitiques, Payot, Paris 1955.

28 - The Cambridge Ancient History, Volume I, II, III, IV. Cambridge University Press, London 1926.

29 - Thès Mommsem, histoire Romaine, tome III, 1926.

30 - Titèlive, Histoire Romaine, Paris 1832.

REVUES

1 - P. Cintas, Revue Africaine, (No. 91 - 91), 1948.

2 - Archèologie Vivante, Vols., I No. 2 Dec. 1968, Rev. 1969.

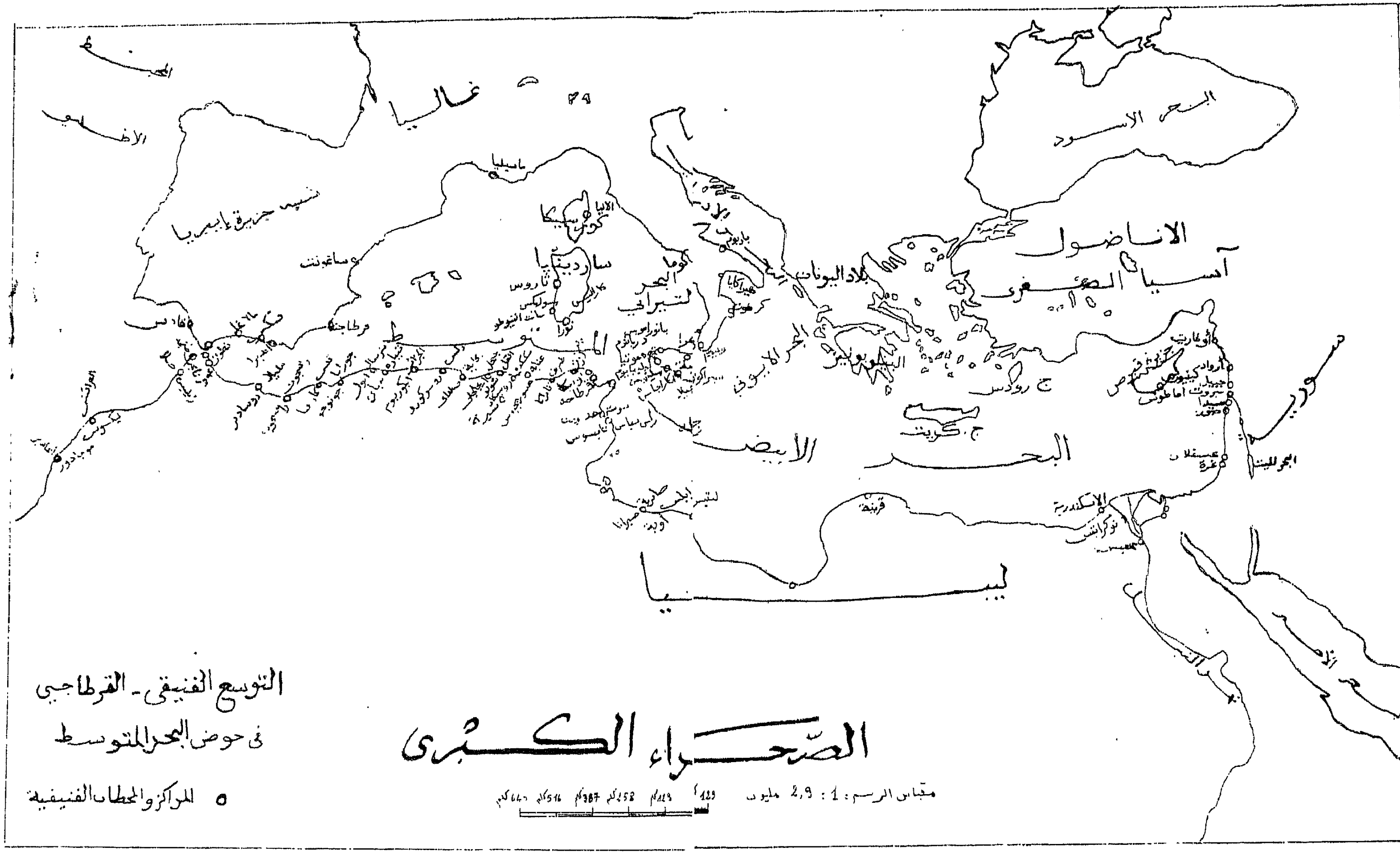
3 - Karthago (Revue Trimestrielle d'Archèologie Africaine) T. II. 1951.

4 - Karthago (Revue Trimestrielle d'Archèologie Africaine) T. V. 1954.

5 - M. Astrug, Revue Africaine — Nov. — Dec. 1935.

6 - Les cahiers de tunisie (Revue des sciences Humaine) T. XVIII No. 71/72 1970.

7 - T. A. Madhloum, Sumer, A Journal of Archoeology History In Iraq, Vol. XXIV — No. I — II — 1968.


التوسع الفنيقي - القرطاجي
في حوض البحر المتوسط
المراكز والمحطات الفنيقية
الصحراء الكبرى
مقياس الرسم : 1 : 2,9 مليون
البحر الأسود
الأناضول
آسيا الصغرى
بلاد اليونان
البحر الأبيض
غاليا
شبه جزيرة إيبيريا
ليبيا
سوريا
سردينيا
كورسيكا
قرطاجنة
قادس
الإسكندرية
رودس
ج. كريت

الشكل م — 4 —